صرير القلم

بقلم
ناصر بن سعيد بن سيف السيف

الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ/٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد

فإن جمع ما تفرق من الكتابات والمقالات في سفرٍ واحد وسلكها في عقدٍ ينظمها مما يُشبع نهمة المُطالع في القراءة والمطالعة، ويقدح زناد الباحث في التحقيق والكتابة، وينتفع منها الجميع -بإذن الله تعالى-، وتكون مما يدخر في يوم القيامة.

وهذه في الحقيقة من الدوافع في جمع بعض المقالات ورتبتها على حسب تاريخ كتابتها، ونشرتها على شبكة الإنترنت من تاريخ ٢٠/ ٣/ ١٤٣٢هـ إلى تاريخ ٢٠/ ٩/ ١٤٣٥هـ في عدة مواقع من أهمها: **(موقع صيد الفوائد)**[1].

وقد تناولت في هذه المقالات المنتقاة عدة موضوعات منوعة متعلقة بقضايا الاعتقاد، والمنهج، والفكر، والثقافة، والوعظ والإرشاد.

---

(١) أشكر القائمين على موقع صيد الفوائد على حرصهم الدائم في التطوير والإبداع ونشر كل جديد يخدم الجميع في موقعهم المبارك -بإذن الله تعالى- وكما أخصهم بالشكر على تخصيص صفحة شخصية مرتب محتواها على الأقسام التالية: (المقالات، التغريدات، الكتب، الفيديوهات)، وفي أعلى الصفحة دليل بروابط على مواقع أخرى، ورابط الصفحة الشخصية: http://saaid.net/Doat/naseralsaif/index.htm

أسأل الله تعالى لنا ولكم التوفيق والسداد، وأن يجعلنا جميعاً من المقبولين، والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه القدير

أبو خلاد ناصر بن سعيد السيف

المملكة العربية السعودية

محافظة الخرج

ضحى يوم الأربعاء الموافق ٢٥ / ١ / ١٤٣٨هـ

الخلافة الراشدة والحقائق العظيمة [1]

استمعتُ إلى خطبة يوم الجمعة في الأسابيع الماضية عن سيرة الخليفة الراشد والمصلح الكبير عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله تعالى- وفيها إبراز معالم العدل والإحسان والتجديد والإصلاح على منهاج النبوة في خلافته في نهاية القرن الأول الهجري ولم تتجاوز سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ولم يتجاوز عمره أربعين سنة، وبعد هذه الخطبة المباركة بدأتْ هذه السيرة العظيمة تجول وتصول في خاطري في أغلب أوقاتي ورسمتْ في خيالي صورة عظيمة متجددة لمعالم وطبيعة هذه الخلافة الراشدة، فبدأت أقرأ بعض الكتب في مكتبتي وتوقفتُ كثيراً متأملاً تلك الخطبة الأولى التي ألقاها على الأمة الإسلامية عندما تولى الخلافة وصعد على المنبر وقال: «**أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه، ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم**» فصاح الناس صيحة واحدة: (قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك فوّل أمرنا باليمن والبركة) ثم قال: «**أما بعد فإنه ليس بعد نبيكم نبي، ولا بعد الكتاب الذي أنزل عليه كتاب، ألا إن ما أحل الله حلال إلى يوم القيامة، ألا إني لست بقاض، ولكني منفِّذ، ألا وإني لست بمبتدع ولكني متبع، ألا إنه ليس لأحد أن يطاع في معصية الله، ألا إني لست بخيركم، ولكني رجل منكم غير أن الله جعلني أثقلكم**

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ٢٠/ ٣/ ١٤٣٢هـ.

حملاً. أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس، وإلا فلا يقربنا: يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها، ويعيننا على الخير بجهده ويدلنا من الخير على ما نهتدي إليه، ولا يغتابن عندنا الرعية ولا يعترض فيما لا يعنيه. أوصيكم بتقوى الله، فإن تقوى الله خلف من كل شيء وليس من تقوى الله عز وجل خلف، واعملوا لآخرتكم، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه، وأصلحوا سرائركم، يصلح الله الكريم علانيتكم، وأكثروا من ذكر الموت، وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم، فإنه هادم اللذات وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل، ولا في نبيها ﷺ، ولا في كتابها وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم، وإني والله لا أعطي أحداً باطلاً، ولا أمنع أحداً حقا - ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال: - **يا أيها الناس، من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم. وإنَّ من حولكم من الأمصار والمدن فإنْ هم أطاعوا كما أطعتم فأنا وليكم، وإن هم نقموا فلست لكم بوال»** [1] ثم نزل من على المنبر وهكذا عقدت الخلافة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى في ذلك اليوم.

وأثناء قراءتي لهذه السيرة المباركة التي فيها نصرةٌ للكتاب والسنة والعمل بهما والاهتمام بالحياة الاجتماعية، والأمنية، والعلمية، والعملية، والدعوية، والإصلاحات المالية، والقضائية، ودقة التخطيط والتنظيم الإداري، والوقاية من الفساد بجميع أنواعه، توقفتُ كثيراً متأملاً ومتعظاً عند تلك الخطبة الأخيرة التي ألقاها على الأمة الإسلامية عندما صعد على المنبر، وقال: «**أيها الناس، إنكم لم**

(١) انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٢/ ٣٧١.

تخلقوا عبثاً ولن تتركوا سدى وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم، والفصل بينكم وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء وحرم الجنة التي عرضها السماوات والأرض، ألا واعلموا أنما الأمان غداً لمن حذر الله وخافه، وباع نافذا بباق، وقليلاً بكثير وخوفاً بأمان ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلفها بعدكم الباقون كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين، وفي كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله قد قضى نحبه وانقضى أجله، فتغيبِّونه في صدع من الأرض، ثم تدَعَونه غير موسد ولا ممهد، قد فارق الأحبة، وخلع الأسباب فسكن التراب وواجه الحساب، فهو مرتهن بعمله، فقير إلى ما قدم غني عما ترك، فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقعه وأيم الله إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي، فأستغفر الله وأتوب إليه، وما منكم من أحد تبلغنا عنه حاجة إلا أحببت أن أسد من حاجته ما قدرت عليه، وما منكم أحد يسعه ما عندنا إلا وودت أنه سُداي ولحمتي، حتى يكون عيشنا وعيشه سواء، وأيم الله أن لو أردت غير هذا من الغضارة والعيش، لكان اللسان مني به ذلولاً عالماً بأسبابه، ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة، يدل فيها على طاعته، وينهى عن معصيته»[1] ثم رفع طرف ردائه فبكى حتى شهق وأبكى الناس حوله.

ولم تمض أيام بعد هذه الخطبة حتى أتت ساعة الاحتضار لهذا الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله تعالى-، فقال: (**اخرجوا عني فلا يبقين عندي أحد**

(١) انظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ٤/ ٨٢.

فخرج من كان عنده وقعدت زوجه فاطمة وأخوها مسلمة على الباب فسمعاه يقول: **مرحباً بهذه الوجوه التي ليست وجوه إنس ولا وجوه جآن**، ثم قال: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣]) (١).

هذه هي الخلافة الراشدة فمن صحت بدايته صحت نهايته، ولكن الأمر العظيم الذي شدَّ انتباهي ما كان بين هذه البداية والنهاية في تطبيق الشريعة والحقائق العظيمة؛ منها كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ

(١) انظر: مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، ٦/ ٨٥.

هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

وختاماً: إنَّ الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز -رحمه الله تعالى-نموذج إصلاحي لمن يريد السير على منهاج النبوة وعهد الخلافة الراشدة، ولقد أخلص لله تعالى في مشروعه الإصلاحي فتولى الله تعالى توفيقه وأطلق ألسنة الناس بالدعاء له ومدحه والثناء عليه.

الأزمة الحقيقية والقوة الداخلية[١]

المتأمل في أحوال الأمة الإسلامية في هذا الزمان عموماً ومع هذه الأحداث الراهنة خصوصاً التي يشاهدها العالم بجميع وسائله الإعلامية يجد أن هناك خللاً عظيماً يغفل عنه كثيرٌ من المحللين السياسيين والإعلاميين، ووصلت هذه الغفلة إلى بعض الإسلاميين وهو أن أعظم سبب في هذه المتغيرات الحالية على مستوى الأفراد والمجتمعات والحكومات هو البُعد الكلي أو الجزئي عن تطبيق الشريعة الإسلامية، وهذه هي الأزمة الحقيقية التي تعيشها الأمة الإسلامية في هذا الزمان.

وقد سطَّر العلامة ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى -كلاماً نفيساً يخرج من مشكاة الكتاب والسنة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، فقال: «وبالجملة فالشرك والدعوة إلى غير الله، وإقامة معبود غيره ومطاع متبع غير رسول الله ﷺ ؛ هو أعظم الفساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا بأن يكون الله وحده هو المعبود، والدعوة له لا لغيره، والطاعة والإتباع لرسوله ليس إلا. وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته؛ فلا سمع له ولا طاعة، فإن الله أصلح الأرض برسوله، ودينه، وبالأمر بتوحيده، ونهى عن إفسادها بالشرك به، وبمخالفة رسوله. ومن تدبر

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ١/ ٣/ ١٤٣٢هـ.

أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل شر في العالم، وفتنة، وبلاء، وقحط، وتسليط عدو، وغير ذلك، فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله. ومن تدبر هذا حق التدبر، وتأمل أحوال العالم منذ قام إلى الآن، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه، وفي حق غيره عموماً وخصوصاً ولا قوة إلا باللهّ العلي العظيم) (١).

وأما القوة الداخلية للأمة الإسلامية، فالأمة بحاجة شديدة إلى إثارتها بتفعيل إيمانها بربها - سبحانه وتعالى - وأن يحرص العلماء الراسخون والدعاة إلى الله - تعالى - على منهاج النبوة على استغلال الفرص في هذه الأحداث الراهنة بدعوة الناس إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ونبذ ما سواها من الأنظمة والدساتير الظالمة والمقيتة وتعريتها أمام الناس، وكذلك الحرص على ترسيخ السنن الإلهية بأن الحق غالب - بإذن الله تعالى - ولو بعد حين وأن العاقبة والفلاح للمتقين كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى

(١) انظر: بدائع الفوائد، ٣/ ١٤.

شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وكذلك الحرص على ترسيخ السنن الإلهية بأن مصير أعداء الدين من الكفار والمنافقين في الداخل والخارج الاضمحلال والهلاك والدمار، كما قال تعالى: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [آل عمران: ١٩٦ - ١٩٧]، وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف: ٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد: ١٢].

وختاماً: فإن أمة الإسلام في الوقت الحاضر لا تملك كثيراً من الإمكانات المادية والتقنية بجميع أنواعها، ولكنها تملك شيئين مهمين؛ العمل بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، ثم استغلال الطاقات والثروات البشرية المتزايدة والمتزودة بزاد التقوى والإيمان، ولن يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

خواطـــر إيمانيـــة [١]

من فقه العبد أن يعرف مواطن الإيمان فيزداد منها، وأن يعرف مواطن نقص الإيمان فيبتعد عنها، وأن يعرف مواطن نزغات الشيطان فيتعوذ بالله منها، وعلى ضوء هذه المنطلقات جمعتُ بعض الخواطر الإيمانية التي دونتها على فترات من الزمن ؛ لأن القلوب بحاجة إلى التذكير بالله عز وجل والوعظ والإرشاد ليقوم المسلم بعبادة ربه - سبحانه وتعالى - كما جاء بها رسوله ﷺ ما بين الخوف والرجاء والمحبة، سائلاً الله تعالى أن ينزل فيها البركة تلو البركة، وأن يشرح بها الصدور، وأن يغفر لي ما حصل فيها من الزلل والخطأ، واستغفر الله وأتوب إليه، والله أعلى وأعلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ؛ فأقول وبالله التوفيق ومنه استمد العون على حسن الكتابة والتحقيق:

الخاطرة الأولى

اعلم -رحمني الله وإياك -أن الله -عز وجل -ذكر في كتابه العظيم الدنيا الملهية عن ذكره -سبحانه وتعالى -بصفات الذم بأمثال عديدة، وصور متنوعة؛ لبيان أنها مزرعة للخير أو الشر، وحصاده عندما تُنتزع الروح من أخمص القدمين إلى الساقين، إلى الحقوين، إلى الصدر وفيه حشرجة، وإلى القلب فيُضغط ضغطة تُخرج ما فيه، وينطق اللسان، وتخرج الروح فيتبعها البصر إلى السماء، فتعرف

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ٨/ ٤/ ١٤٣٢هـ.

مصيرها إما أنها من أهل الإيمان أو من أهل العصيان، ثم ترد في القبر إلى الجسد، فإما جنة ونعيم، وإما عذاب أليم إلى قيام الساعة.

الخاطرة الثانية

اعلم -رعاك الله -أنك تنادى في الدنيا بأحب الأسماء إليك، فإذا فارقت الروح البدن تُرك اسمك، ونسي ذكرك، فتسمى جثةً، فإذا غُسِّلتَ وكُفِّنتَ وصُلِّي عليك وحُملتَ على الأكتاف تسمى جنازة -نسبوك إلى الخشبة التي تُحمل عليها - فإذا وضعتَ في اللحد وصُفَّتْ عليك اللبنات، وحُثي عليك التراب، وتركوكَ في القبر تسمى ميتاً، فهنيئاً لمن نُوديتْ روحه في السماء بأطيب الأسماء، وطُيبتْ بأطيب ريح، وتنعم بأطيب نعيم، وفُسح له في قبره مدَّ بصره من النعيم فيقول رب أقم الساعة.

الخاطرة الثالثة

اعلم -رحمني الله وإياك -أن الله -جل وعلا -إذا أراد أمراً عظيماً قدم له مقدمات عظيمة، فيوم القيامة -الذي تنوّعت أسماؤه وصفاته -يبدأ بنفخ الصور إيذاناً بنهاية الحياة على الأرض، وفيه تجري الأهوال والأحداث والتغيرات العظيمة في الآيات الكونية -العلوية والسفلية -ويقف الناس في موقف عظيم أمام رب العالمين، وليس بين العبد وبين ربه -جل وعلا -ترجمان، فهل تزودت لهذا الموقف العظيم بالإيمان والأعمال الصالحة؟

الخاطرة الرابعة

اعلم -رحمني الله وإياك -أن من أعظم الحسرة والندامة أن يأتي العبد يوم القيامة وهو محمَّل بالذنوب والمعاصي، ويعتقد المسكين أنه قد أحسن عملاً، ولهذا

فإن أشد ما يحمله العبد يوم القيامة الأوزار، وهي من أسباب دخول دار البوار: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ [نوح: ٢٥]، وفي هذا الوقت لا ينفع الندم؛ فليحرص العبد على أن يزداد من الخير للقاء رب الأرباب يوم التناد، قال - جل في علاه -: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

الخاطرة الخامسة

تأمل -رعاك الله -إذا صرت على الصراط، ونظرت إلى جهنم تحتك سوداء مظلمة، وعلا لهيبها، وارتفع صوت زفيرها، وأنت تمشي أحياناً وتزحف أحياناً، فلا نجاة لك من ذلك الموقف العظيم والحدث الرهيب إلا بالإيمان بالله -تعالى- والمسارعة بالأعمال الصالحة، ولزوم تقوى رب العالمين.

وختاماً: اعلم -رحمني الله وإياك -إذا أردتَ أنْ تتعظ، ويرق قلبك، وتدمع عيناك، وتخشع جوارحك، وتزداد في العبادات؛ فعليك بالقرآن العظيم فهو كلام العزيز الحكيم، وخاصةً الآيات التي يتكلم الله -عز وجل -فيها عن نفسه، فأي شيءٍ أعظم من الله -تبارك وتعالى-؟ فكيف إذا كان الكلام كلامه يصف به نفسه؟

ذكـرى مـن أحـداث اليابـان [١]

وسائل الإعلام بجميع أنواعها بثت الأحداث الرهيبة التي حدثت في اليابان؛ من زلازل قوية تسببت في هدم الآلاف من المنازل، وإغراق بعض الجزر، واختفاء قطارين بركابهما، وأعاصير تسونامي -التي يصل فيها ارتفاع الموج إلى عشرة أمتار -كانت سبباً في إغراق بعض المدن والقرى بما فيها من السكان، واندلاع الحرائق التي أصابت بعض المفاعل النووية، وربما تسبب حدوث انفجار نووي هائل إذا لم يُتدارك الموقف عاجلاً، وغير ذلك من الأحداث التي لا تخفى على الجميع.

ولقد وقفتُ متعظاً من هذه الأحداث أثناء متابعتي لوسائل الإعلام، وخاصةً بعدما سمعت الشيخ محمد صالح المنجد -حفظه الله تعالى -في «برنامج تبيان» الذي تبثه قناة المجد الفضائية وهو يتحدث عن هذه الأحداث بمواعظ للقلوب من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة -رحمهم الله تعالى -وامتلأ حديثه -وفقه الله تعالى -بالحكمة والموعظة الحسنة، فالأمة الإسلامية الآن بحاجة إلى مثل هذه الجهود المباركة لاستغلال الطاقات والأوقات في الدعوة والوعظ والإرشاد والإصلاح والاستفادة من الفرص والمواقف في كل مكان وزمان.

وبعد متابعتي لهذا البرنامج المبارك دخلتُ مكتبتي وبدأتُ أقرأُ في كتاب بعنوان: (الدروس المستفادة من العقوبات الإلهية في القرآن الكريم قبل الرسالة

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ١١/ ٤/ ١٤٣٢هـ.

المحمدية) للشيخ عبدالهادي بن سعد الشمراني - وفقه الله تعالى - فوقفتُ على فوائد عظيمة، منها: (أن لله تعالى سنناً قد بينها في كتابه العظيم، ومن هذه السنن أن ما يصيب العباد من عقوبات إنما هي بسبب ظلمهم وذنوبهم وما كسبته أيديهم، والله لا يظلم عباده ؛ بل العفو أحب إليه من العقوبة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠-٣١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾ [فاطر: ٤٥]، وقال سبحانه تعالى: ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٨]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥]).

ومن هنا نتيقن أن للعقوباتِ أسباباً كثيرةً، ورد ذكرها في الكتاب والسنة، وجامعها المعاصي والذنوب، والتكذيب والإعراض، ومنها إقصاء الشريعة عن الحكم والتشريع، أو تطبيقها على نطاق ضيق -بحسب الآراء والأهواء -، وقد توعد الله -سبحانه وتعالى-مَن فعل ذلك بالخزي والنكال في الحياةِ الدنيا والآخرة، قال الله تعالى:﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٨٥].

وختاماً: فإن الواجب على المسلمين في مثل هذه الأحداث من تتابع العقوبات من ناحية، وانتشار الفتن من ناحية أخرى أن يصدقوا في التوبة إلى الله

-سبحانه وتعالى -وأن يقيموا التوحيد؛ لأن هذه العقوبات المهلكة، والكوارث المفجعة، ليست ضرباً من الخيال، وليس فيها شيء من التهويل والمبالغة، فالله يقول -جل في علاه -: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

❁ ❁ ❁

وما قدروا الله حق قدره [١]

تعظيمَ الله -عز وجل -مِن أجل العبادات القلبية، التي يتعين ترسيخه في القلوب، وتزكية النفوس به، فعلى قدرِ المعرفة يكون تعظيمُ الرب -سبحانه وتعالى -في القلب، وأعرف الناس به أشدُّهم له تعظيماً وإجلالاً.

وقد ذمَّ الله -تبارك وتعالى-مَن لم يعظِّمه حقَّ عظمتِه، ولم يعرِفه حقَّ معرفته، ولم يصفه حقَّ وصفه، فقال -سبحانه وتعالى -: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: ١٣] قال الصحابي الجليل عبدالله بن عباس -رضي الله تعالى عنهما - في تفسير هذه الآية: (ما لكم لا تعظِّمون الله حقَّ عظمته) [٢].

ولقد كان نبينا ﷺ يربي الصحابة على تعظيم الله -تبارك وتعالى -، فعن عبدالله بن مسعود -رضي الله تعالى عنه -قال: جاء حَبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنَّا نجد أنَّ الله يجعل السمواتِ على إصبع، والأراضين على إصبع، والشجَر على إصبع، والماءَ والثرى على إصبع، وسائرَ الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحِك النبي ﷺ حتى بدَت نواجذه تصديقاً لقولِ الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] [٣].

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ١٧/ ٤/ ١٤٣٢هـ.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/ ٢٣٣.

(٣) رواه البخاري، رقم الحديث (٤٤٣٧)، باب: (قوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾).

ومن تفكر في آياتِ الله -عز وجل- وإعجازه في الكون، امتلأ قلبه إجلالاً وتعظيماً ورغبةً ورجاء لله -سبحانه وتعالى-وانطلق لسانه دعاءً له سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩٤].

ومن تفكر في الشمس والقمر وهما يدوران، والليلِ والنهار وهما يتقلبان، وبديع خلق الإنسان؛ يدرك عظمة الرحيم الرحمن: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [القصص: ٧١ - ٧٢].

ومن تفكر في خلق النبات والشجر، والفاكهة والثمر، والبحر والنهر، وطاف العقل في الكائنات ونظر، أدرك على صفحاتها قدرةَ المليك المقتدر -تبارك وتعالى-: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل: ٦٠ - ٦١].

ومن تفكر في آياتِ الله وإعجازه في الكون خافَ من الله -تبارك وتعالى - لامحالة؛ لأنه علم صفاتِ الجمال والجلال والكبرياء لله -عز وجل-، فهو -سبحانه- العزيز الكريم المتعال الواحد القهار، وهو الذي قهَر كلَّ شيء وغلبه، والذي لا يُطاق انتقامُه، ومذلُّ الجبابرة، وقاسمُ ظهور الملوك والأكاسرة، وهو -سبحانه - القوي الذي تتصاغر كل قوة أمام قوته، ويتضاءل كل عظيم أمام عظمتِه.

وإذا تحقق التفكر المطلوب في آيات الله -تعالى-وإعجازه في الكون كان المتفكر ممن وجِلت قلوبهم لذكر الله -تعالى -: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[الأنفال: ٢]، ويقول - تبارك وتعالى -: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[الحج: ٣٤- ٣٥].

والذين لا يُقدِّرون اللهَ حقَّ قدره، ولا يعظِّمونه حقَّ تعظيمه، تصاب نفوسهم بالوهَن، وتمتلئ قلوبهم برهبةِ البشر، فالهزيمة النفسية تلازمهم مهما أوتوا من قوة، وهي بذاتها أشد الأخطار والمصائب على مستقبل الأمة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٩].

وختاماً: فإن الكون كتابٌ مفتوح، ومَن تأمل شيئاً فيه دلَّه على عظمة الخالق البارئ: **وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد.**

❁ ❁ ❁

حقيقة الصراعات والضعف المعنوي (١)

الصراعات بين الحق والباطل لها حقيقة، وحِكم إلهية يعيها من تدبر كتاب الله -عز وجل -وسنة نبيه ﷺ، وسبر التاريخ، وأحوال الأمم السابقة وما وقع فيها من أحداث وصولاً إلى بزوغ نور الهداية والتوحيد بمبعث محمد ﷺ؛ فمن فعل ذلك أدرك بعض هذه الحقائق والحِكم من وجود الخير والشر، والرشد والضلال، والنور والظلمة، ومن هنا كانت المدافعة والمجاهدة بين الناس، قال الله -جل في علاه -: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠].

ولذلك فإن السنة الإلهية اقتضت أن أهل الإيمان والتوحيد لن يعيشوا في هذه الدنيا إلا ولهم أعداء من الداخل والخارج، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١]، وتأمل ختام هذه الآية العظيمة لترى عناية الله - عز وجل- بعباده المؤمنين ؛ فهو سبحانه هادٍ يهديهم إلى العلم النافع، والعمل الصالح، ونصيرٌ ينصرهم على أعدائهم، ولكن الله -سبحانه وتعالى- يمحص هؤلاء المؤمنين حتى يُظهر الصادقين، ويُبطل كيد المنافقين، ويُخزي الظالمين، قال -تبارك وتعالى-: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ١/ ٥/ ١٤٣٢هـ

يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

ومن أعظم حِكم الصراعات بين الحق والباطل في كل زمان ومكان: أن النصر من الله - جلا في علاه - دائماً لدينه وأن كلمة الله هي العُليا وكلمة الذين كفروا السُفلى مهما مكروا وكادوا أعداء الدين، قال الله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف: ٨]، وأن الفوز بتأييد الله - تبارك وتعالى- لمن جاهد وبذل لأجل نصرة هذا الدين وإعلاء كلمة التوحيد، قال -تعالى-: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وأن العاقبة للمتقين مهما اشتد الأذى وطال الزمان، ولكن هذا النصر العظيم له أسباب منها؛ الدعوة إلى الله -تعالى-، وإقامة شرائع الدين، والعمل الجاد الموافق لمنهج السلف الصالح، والصبر على ذلك، قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١]، ولنا في قصص الأنبياء والرسل مع أقوامهم عِبرة عظيمة تبين هذه الحقائق والحِكم الإلهية، فما من نبيٍ ولا رسولٍ دعا قومه إلى الله -سبحانه وتعالى - وصبر على أذاهم إلا كانت العاقبة له ولمن آمن معه، قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩].

وهذه الصراعات بين الحق والباطل مستمرة، والله يحب من أوليائه المدافعة، ويحب المجاهدة، قال -تبارك وتعالى -: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾ [الصف: ٤]، فلتستمر هذا الصراعات كما يريدها الله

-تبارك وتعالى- بانتصار الآمرين بالحق والناهين عن الباطل، وخذلان الكافرين والمنافقين، فانصروا الله ينصركم، ويثبت أقدامكم: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وتنتهي حقيقة الصراعات بأصحابها عندما يقول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

ومما لاشك فيه أن أشد ما يعانيه بعض المسلمين في هذا الزمان الضعف المعنوي، والهزيمة النفسية التي ضربت جذورها في أعماق النفوس الضعيفة التي ارتوت من ماء الذل والهوان باقتراف الذنوب والعصيان، وتشربت قلوبهم بالذعر والخوف من أعداء الدين من الداخل من المنافقين والعلمانيين والليبراليين والخونة الرافضة الضالين المضلين، ومن أعداء الدين من الخارج من اليهود والنصارى والمشركين.

ومن تابع الفتوحات الإسلامية العظيمة في مشارق الأرض ومغاربها في القرون الماضية يجد أن الضعف المعنوي والهزيمة النفسية لا أثر لها أبداً في حياتهم بل إن التربية الإيمانية والقوة المعنوية لها تأثيرٌ عظيمٌ في كل شؤون حياتهم مع حرصهم التام على الاستعدادات المادية بالأسلحة والعُدة والعتاد وجميع هذه الإعدادات تدخل في قول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وبهذا كان الفاتحون في تلك القرون رهباناً في الليل، وفرساناً في النهار، لا يخشون الوغى، ولا يهابون الأعداء مهما كانت قوتهم، وشعارهم في ذلك قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى

ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [التوبة: ٥٢].

ولا تخفى على كل من قرأ التاريخ تلك القصة العظيمة التي حدثت للصحابي الجليل ربعي بن عامر -رضي الله تعالى عنه -عندما أطلق كلمات العزة على مسامع قائد جيوش الفرس والدنيا كلها بقوله: (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وأرسلنا بدينه إلى خلقه فمن قبله قبلنا منه وتركناه وأرضه، ومن أبى قاتلناه حتى نفئ إلى الجنة أو الظفر) (١).

وختاماً: فإن التاريخ وواقع البشرية، يثبتانِ أنه مهما تبجح الشر وانتفش فالحق غالبه -بإذن الله تعالى -ولو بعد حين، وللباطل جولات ثم يذهب هباء، والنافع هو الأبقى، وهذا على مستوى الفرد والمجتمعات والدول والحضارات، وتأمل قول الحق -تبارك وتعالى -: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، ١/ ٤٧٥.

السـلاح العظـيم [١]

الأمة الإسلامية في هذا الزمان بحاجة شديدة إلى إعدادها للنهوض بمستقبلها الموعود وذلك في شتى المجالات علمياً وثقافياً وتقنياً وعسكرياً وقبل ذلك كله الإعداد الإيماني ومن أعظمه للأمة أن يُفتَح باب العبادة بأنواعها وخاصة التضرع والدعاء والافتقار إلى الله -تبارك وتعالى - في الشدة والرخاء، قال - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فالدعاء هو سلاح المؤمنين يدعون ربهم نداء المستغيثين ليزيل همَّ المهمومين وينفس الكرب عن المكروبين ويقضي الدَّين عن المدينين وينصر المجاهدين ويُعين المعسرين ويفك أسرى المأسورين، وهو مطلب العارفين ومطيَّة الصالحين لنيل السعادة في الدارين.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -: (إني لا أحمل همّ الإجابة ولكن أحمل همَّ الدعاء)[٢]، وقال إبراهيم الخواص -رحمه الله تعالى-: (دواء القلب خمسة أشياء: مجالسة الصالحين، وقراءة القرآن بالتدبر، وإخلاء البطن من

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ٧/ ٧/ ١٤٣٢هـ.

(٢) انظر: مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ٣/ ١٠٣.

الحرام، وقيام الليل، والتضرع عند السحر)[١]، وقال الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى-: (الدعاء من أنفع الأدوية وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه إذا نزل وهو سلاح المؤمن) [٢]، وقال سفيان بن عيينة -رحمه الله تعالى-: (لا يمنعنَّ أحد الدعاء ما يعلم في نفسه من تقصير فإن الله قد أجاب دعاء شر خلقه وهو إبليس حين قال: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الحجر: ٣٦] [٣])، وقال المناوي -رحمه الله تعالى-: (إذا تمنى أحدكم خيراً من خير الدارين فلْيكثر الأماني فإنما يسأل ربه الذي رباه وأنعم عليه وأحسن إليه فليعظم الرغبة ويوَّسع المسألة؛ فينبغي للسائل الإكثار ولا يختصر ولا يقتصر فإن خزائن الجود سحَّاء الليل والنهار ولا يفنى عطاؤه عز وجل) [٤].

وإذا أردتَ أن تجاب دعواتك فعليك بهذه الأسباب المعينة على ذلك:

١-الثناء على الله -سبحانه وتعالى -قبل الدعاءِ ثم الصلاة على النبي ﷺ، فعن فضالة بن عبيد -رضي الله تعالى عنه -قال: بينما رسول الله ﷺ قاعدًا إذ دخل رجل، فصلى فقال: اللهم اغفر لي، وارحمني. فقال رسول الله ﷺ: «**عجلت أيها المصلي، إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله، وصلِّ عليَّ ثم ادعه**» ثم صلى رجل آخر بعد ذلك، فحمد الله، وصلى على النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «**أيها المصلي ادع تُجب**» [٥].

---

(١) انظر: حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني، ٤/ ٤١٢.

(٢) انظر: الجواب الكافي، ابن قيم الجوزية، ص٤.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ١٨/ ١٠٩.

(٤) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ١/ ٤١١.

(٥) رواه الترمذي، رقم الحديث (٣٤٧٦)، وصححه الألباني.

٢-دعاء الله -تعالى -وحده لا شريك له فقد قال رسول الله ﷺ لابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-: «**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**» (١).

٣-الإقرار بالذنب والاعتراف بالخطيئة ولذلك فإن دعاء يونس -عليه السلام- من أعظم الأدعية لأنه ضمنه اعترافه بوحدانية الله -تعالى-وإقراره بالذنب، والظلم للنفس، كما قال تعالى عنه: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

٤-التضرع والخشوع، والرغبة والرهبة، قال الله -تعالى-عن أنبيائه -عليهم السلام-: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

٥-الجزم في الدعاء، والعزم في المسألة، فعن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه-أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة؛ فإنه لا مُكْرِهَ له**» (٢).

٦-الإلحاح بالدعاء الذي يدل على صدق الرغبة فيما عند الله -عز وجل -فعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله تعالى عنها-قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب الملحين في الدعاء**» (٣).

---

(١) رواه الترمذي، رقم الحديث (٢٥١٦)، وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري، رقم الحديث (٥٨٤٦)، باب: (ليعزم المسألة فإنه لا مكره له).

(٣) انظر: جامع الأحاديث، السيوطي، رقم الحديث (٧٢١٩)، وضعفه الألباني.

٧-الدعاء في الشدة والرخاء، وفي المنشط والمكره؛ لحديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه -قال: قال رسول اللهﷺ: «**من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكُرَب فليكثر من الدعاء في الرخاء**» (١).

٨-تجنب الدعاء على الأهل، والمال، والنفس فقد قال رسول الله ﷺ: «**لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم؛ لا توافقوا من الله ساعةً يُسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم**» (٢).

٩-الدعاء ثلاثًا، وذلك كما جاء في حديث عبدالله بن مسعود -رضي الله تعالى عنه- وفيه: فلما قضى النبيﷺ صلاته -رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثًا، ثم قال: «**اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش**» (٣).

١٠-استقبال القبلة، فعن عبدالله بن زيد -رضي الله تعالى عنه-قال: خرج النبي ﷺ إلى هذا المصلى يستسقي، فدعا، واستسقى، ثم استقبل القبلة وقلب رداءه (٤).

١١-رفع اليدين في الدعاء، فعن سلمان الفارسي -رضي الله تعالى عنه -أن رسول الله ﷺ قال: «**إن ربكم حييٌّ كريم، يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا خائبتين**» (٥).

---

(١) رواه الترمذي، رقم الحديث (٣٣٨٢)، وحسنه الألباني.

(٢) رواه مسلم، رقم الحديث (٥٣٢٨)، باب: (حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر).

(٣) رواه البخاري، رقم الحديث (٢٣٣)، باب: (إذا أُلقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته).

(٤) رواه البخاري، رقم الحديث (٥٨٦٧)، باب: (الدعاء مستقبل القبلة).

(٥) رواه أبي داود، رقم الحديث (١٣٣٧)، وصححه الألباني.

١٢-أن يقدم عند دعائه عملاً صالحًا؛ كأن يتصدق، أو يحسن إلى مسكين، أو يصلي ركعتين، أو يصوم، أو غير ذلك؛ ليكون هذا العمل وسيلة إلى الإجابة، ويدل على ذلك حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار؛ فإن النبيﷺ حكى عنهم أن كل واحد منهم توسل بأعظم أعماله التي عملها لله -عز وجل- فاستجاب الله دعاءهم، وارتفعت عنهم الصخرة[١].

١٣-الوضوء كما في حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله تعالى عنه- لما فرغ النبيﷺ من حنين، وفيه قوله: فدعا بماء، فتوضأ، ثم رفع يديه، فقال: «**اللهم اغفر لعبيد بن عامر، ورأيت بياض إبطيه**»[٢].

١٤-أن يتخير جوامع الدعاء ومحاسن الكلام بدلاً من التطويل، والحشو، والتفصيل الذي لا لزوم له؛ كالأدعية القرآنية والنبوية؛ فقد كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك.

١٥-خفض الصوت، والإسرار بالدعاء، فعن أبي موسى الأشعري -رضي الله تعالى عنه- قال: كنَّا مع النبي ﷺ فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ: «**أيها الناس، أربعوا على أنفسكم؛ إنكم لا تَدْعِون أصمَّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم**»[٣].

---

(١) رواه البخاري، رقم الحديث (٢٠٦٣)، باب: (إذا اشترى لغيره بغير أذنه فرضي).

(٢) رواه البخاري، رقم الحديث (٣٩٧٩)، باب: (غزوة أوطاس).

(٣) رواه البخاري، رقم الحديث (٦٨٣٨)، باب: (قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾).

١٦-إطابة المطعم والمشرب والملبس، فقد قال سعد بن أبي وقاص -رضي الله تعالى عنه -يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة، فقال له النبي ﷺ: «**يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة**» (١).

١٧-تجنب الاستعجال بإجابة الدعاء، قال النبي ﷺ: «**يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يُستجب لي**» (٢).

١٨-إحسان الظن بالله عز وجل، قال رسول الله ﷺ: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة**» (٣).

١٩-حضور القلب مُقبلاً غير مُدبر، قال رسول الله ﷺ: «**اعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب لاه**» (٤)

٢٠-يختم الدعاء بالتسبيح والتحميد والتمجيد والصلاة على رسول الله ﷺ.

واعلم -رحمك الله-أنك لن تخسر شيئاً من دعائك، فقد قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**» قالوا: إذن نكثر قال: «**الله أكثر**» (٥).

---

(١) انظر: جامع الأحاديث، السيوطي، رقم الحديث (٣٥٨٦)، وضعفه الألباني.

(٢) رواه البخاري، رقم الحديث (٥٧٦٥)، باب: (باب يستجاب للعبد ما لم يعجل).

(٣) رواه الترمذي، رقم الحديث (٣٤٧٩)، وحسنه الألباني.

(٤) رواه الترمذي، رقم الحديث (٣٤٧٩)، وحسنه الألباني.

(٥) رواه أحمد، رقم الحديث (١٠٨٠٩)، وحسنه الألباني.

واعلم -رحمك الله- أن هناك مواطن لإجابة الدعاء فاجتهد فيها، قال الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى -: (إذا جُمع مع الدعاء حضور القلب وصادف وقتاً من أوقات الإجابة السِّتة وهي الثلث الأخير من الليل وعند الأذان وبين الأذان والإقامة وأدبار الصلوات المكتوبة وعند صعود المنبر يوم الجمعة حتى تُقضى الصلاة وآخر ساعة من يوم الجمعة وصادف ذلك خشوعاً وخضوعاً في القلب وانكساراً بين يديه بذل وانكسار ورقة واستقبال للقبلة وكان على طهارة ورفع يديه وبدأ بالحمد والثناء عليه ثم يصلي على رسوله ﷺ ثم يُقدم حاجته بالتوبة والاستغفار ثم يدخل على الله ويلح عليه بالمسألة ودعاه رغبةً ورهبةً وتوسل بأسمائه وصفاته وتوحيده ويُقدم بين يديه صدقة) [١].

ما لنا ندعوا الله ولا يستجاب لنا !!

قال إبراهيم بن أدهم -رحمه الله تعالى-: (لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم رسوله ﷺ فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نِعمَ الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس) [٢].

(١) انظر: الجواب الكافي، ص٥.

(٢) انظر: حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني، ٣/ ٣٣٠.

وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين [1]

من علامة سعادة العبد في الدنيا والآخرة أن يؤثر مراد الله -تعالى-، ويسعى لطاعته ورضاه فإذا آثر العبد الآخرة على الدنيا، وكان من أهل الآخرة يطلبها طلباً حثيثاً ويبذل فيها نفائس أنفاسه وزهرة حياته كل يوم يزيده قُرباً، وكلما ازداد قُرباً ازداد حُباً، وكلما ازداد حُباً ازداد زُهداً، يومه خير من أمسه، وغدُهُ أفضل من يومه، فهو دائم الفكر في الآخرة مشغول بما يقربه ويؤدبه ويهذبه فإذا رآه الله - عز وجل- مؤثراً لمراده محباً لما يحبه ويرضاه مبغضاً لما يبغضه ويأباه عطف عليه ربه ورباه أفضل مما يربي الوالد الشفيق ولده الوحيد، فيصرف عنه السوء والفحشاء، كما قال تعالى في حق يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

وييسر الله -تعالى-له أسباب الهداية كما قال: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى﴾[مريم: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد: ١٧].

فإذا أقبل العبد بقلبه على الله -عز وجل-أقبلت عليه وفود الخيرات من كل جانب، وإذا أعرض عن مولاه واتبع هواه، أقبلت عليه سحائب البلاء والشر من كل جانب.

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ١٩/ ٧/ ١٤٣٢هـ.

والعبد في طريقه إلى مولاه يحتاج دائماً إلى التذكير بالآخرة، ومعرفة شرف الطاعات وفضائلها، وقبح المعاصي ومثالبها، قال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥]. (١)

❁ ❁ ❁

(١) هذا من جميل ما قرأتُ لفضيلة الشيخ أحمد فريد – حفظه الله تعالى–في كتابه الرائع: (البحر الرائق في الزهد والرقائق).

الوصايا السعدانية [١]

أحب أن أذكر لكم بعض الوصايا الجامعة النافعة عسى الله تعالى أن يختم لنا ولكم بخير ويجعل عواقب أمورنا إلى خير فأقول وبالله التوفيق: من كف لسانه عن الناس شرح الله صدره ويسر أمره وأعلا ذكره وغفر وزره ووسع وأنار قبره وضاعف له مثوبته وأجره، ومن صان أعراض الناس صان الله عرضه من الناس وألبسه الرحيم خير لباس فيمشي بينهم وما عليه منهم من حذر ولا بأس وسد بذلك طريق الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس، ومن ذب عن عرض أخيه ذب الله عن عرضه ومكنه الله تعالى وآمنه في أرضه وسلَّمه من الفزع الأكبر في يوم حشره وعرضه جزاء وفاقا لما قام به من فرضه، ومن قام بما أوجب الله عليه تجاه العلماء أحبه أهل الأرض والسماء واستغفرت له الأشياء ووسع الله له العطاء وأعلا نزله في دار الأتقياء، وخف الله في الناس ولا تخف الناس في الله وعاملهم بما تحب أن يعاملوك به وآت للناس ما تحب أن يأتوك به، واعلم أن خير ما خرج به العبد من هذه الدنيا الذكر الحسن، وطوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً، واعمل لسانك بكثرة الذكر، واستقل ما تقدمه من الطاعات، ولا تفخر ولا تبغ على أحد، واعف واصفح عمن أساء إليك وقابل السيئة بالحسنة، وعليك بمعالي الأمور ودع سفاسفها، وأوصيك

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ٣/ ٨/ ١٤٣٢هـ.

بتقوى الله وحسن الخلق، وأتركك في مساء الخير أو صباحه والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. (١)

❁ ❁ ❁

(١) هذا من جميل ما قرأتُ لفضيلة شيخنا وليد بن راشد السعيدان – حفظه الله تعالى –في كتابه الرائع: (قواعد في الحكم على الآخرين).

طريـــق النجـــاة[١]

نعيش في هذه الأزمنة فتناً كبيرة، ومتغيرات خطيرة، تعصف بنا كعصف الريح العاتية بالورقة اليابسة، فتن تمر على العباد كقطع الليل المظلم، تتبدل فيها الأحوال، وتتغير فيها النفوس، وقد أخبرنا نبينا ﷺ عن وقوع الفتن وعمومها وشدة خطرها، فقال عليه الصلاة والسلام: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**»[٢]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به**»[٣].

وهذه بعض الأدلة التي تدل على كثرة الفتن، وتتابعها، وعموم البلوى بها، وأنه لا يكاد يسلم منها أحد، وهذا يفيد أن المسلم بحاجة إلى الثبات على الدين والحرص على القيم الإسلامية والفطرة السليمة والتصدي لهذه الفتن، والثبات يحتاجه حتى الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٤]، وكان النبي ﷺ يكثر أن يقول في سجوده:

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ٢٠/ ٨/ ١٤٣٢هـ.

(٢) رواه مسلم، رقم الحديث(١٦٩)، باب: (الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن).

(٣) رواه البخاري، رقم الحديث: (٣٣٣٤)، باب: (علامات النبوة في الإسلام).

«**اللهم ثبت قلبي على دينك**»[١] فإذا كان النبي ﷺ يهتم بطلب الثبات ويدعو الله تعالى به في سجوده، فالناس أولى وأحرى إلى ذلك.

ومن أعظم الأسباب في تحقيق الثبات على الدين أن يعتصم المسلم بالكتاب والسنة، فإنهما الأصل، وأساس الخير، وحزام الأمان من الضلال بعد الهدى ومن الحور بعد الكور، فمن اعتصم بهما فقد هُدي، ومن استمسك بهما فقد فاز وأفلح، وقد ضمن الله تعالى لمن تمسك بهما أنه لا يضل ولا يشقى، قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

ولخص الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى-حقيقة الاعتصام بالقرآن العظيم بقوله:(وهو تحكيمه دون آراء الرجال ومقاييسهم، ومعقولاتهم، وأذواقهم، وكشوفاتهم، ومواجيدهم، فمن لم يكن كذلك فهو مُنسل من هذا الاعتصام فالدين كله في الاعتصام به وبحبله، علماً وعملاً، وإخلاصاً واستعانةً، ومتابعةً، واستمراراً على ذلك إلى يوم القيامة) [٢].

وقد أجمع المسلمون أنه لا مخرج للعبد من الفتن المتلاحقة والبلايا المتعاقبة إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة، وأجمعوا على أن من أعظم أسباب حلول الفتن مخالفة الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

---

(١) رواه ابن ماجه، رقم الحديث (٣٨٣٤)، وصححه الألباني.

(٢) انظر: مدارج السالكين، ٣/ ٣٢٣.

وختاماً: فإن الواجب على المسلمين الإقبال على القرآن الكريم والسنة المطهرة قراءةً وحفظاً وتعلماً وتدبراً وتعليماً والتحاكم إليهما، ونبذ جميع الأعراف والتقاليد والعادات والأنظمة المخالفة لهما وتقديمهما على كل شيء، وجعلهما حكماً عند التنازع والاختلاف، فلا نقدم عليهما رأياً ولا نظاماً ولا سياسةً ولا عقلاً ولا شهوةً ولا مذهباً، ولا أي شيء، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، ويجب على طائفة - بقدر الكفاية - من علماء المسلمين وطلاب العلم المتمكنين ببذل الأوقات واستخدام شتى الوسائل في بث أخبار اليقين بنصر الدين، والاهتمام ببناء النفوس، وتربيتها التربية الإيمانية السلفية ؛ لمواجهة المرحلة المستقبلية لهذه الأمة، والحرص التام على نشر جهاد الكلمة والبيان بالحكمة البالغة والحجة الدامغة لكتم الأفواه التي تنادي إلى نبذ كتاب الله العظيم وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام على فهم السلف الصالح.

جدد حياتك في رمضان [١]

ما أجمل أن يعيش العبد في هذه الدنيا وهو يحصد الخيرات في مواسم الطاعات؛ فهذا شهر رمضان قد أقبل وبإهلاله تفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار وتصفد الشياطين، وينبغي على المكلفين من الإنس والجن بالمبادرة والمسابقة والمسارعة في فعل الطاعات وترك المنكرات، وهذا الموسم المبارك فرصة عظيمة لتجديد الحياة بالإيمان والتماس رضى الرحمن - جل جلاله - والتقرب إليه بالطاعات ومن أعظمها بعد أداء الفرائض الحرص التام على قراءة القرآن العظيم بالتدبر والتفكر وتحريك القلوب عند قراءته وسماعه، ولهذا يجب علينا أن نراجع محبتنا لكلام ربنا - تبارك وتعالى -، قال عثمان بن عفان - رضي الله تعالى عنه -: (لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله) [٢]، وكان الصحابة - رضي الله تعالى عنهم أجمعين - إذا اجتمعوا وفيهم أبي موسى الأشعري يقولون: (يا أبا موسى اقرأ علينا) فيقرأ وهم يستمعون[٣]، وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله تعالى عنه - قال: (قال لي رسول الله ﷺ: «**اقرأ عليَّ**». فقلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «**نعم، إني أحب أن أسمعه من غيري**»، فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ١/ ٩/ ١٤٣٢هـ.

(٢) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، ١/ ٥٥.

(٣) انظر: الجواب الكافي، ابن قيم الجوزية، ١/ ١٧٠.

شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]، قال: «**حسبك الآن**» فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان)[١].

والأفضل لمن أراد أن ينتفع بتلاوته لكتاب الله -عز وجل -أن يختار وقتاً يجمع فيه قوة القلب والهمة على التدبر والتفكر وفهم مراد الله -تبارك وتعالى - بالآيات، ومن بعد ذلك يتعظ وينتفع وتتغير مجريات الحياة للأفضل.

وقد سطَّر العلامة ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - كلاماً نفيساً في كتابه الفوائد عندما قال: (تأمل خطاب القرآن ؛ تجد ملكاً له الملك كله وله الحمد كله، أزِمَّة الأمور كلها بيده ومصدرها منه ومرادها إليه، مستوياً على سرير ملكه، لاتخفى عليه خافية في أقطار مملكته، عالماً بما في نفوس عبيده، مطلعاً على أسرارهم وعلانيتهم، منفرداً بتدبير المملكة، يسمع ويرى، ويعطي ويمنع، ويثيب ويعاقب، ويكرم ويهين، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويقدر ويقضي ويدبر، الأمور نازلة من عنده دقيقها وجليلها وصاعدة إليه، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه . فتأمل كيف تجده يثني على نفسه، ويمجد نفسه، ويحمد نفسه، وينصح عباده، ويدلهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم، ويرغبهم فيه، ويحذرهم مما فيه هلاكهم، ويتعرف إليهم بأسمائه وصفاته، ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه ؛ فيذكرهم بنعمه عليهم، ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها، ويحذرهم من نقمه، ويذكرهم بما أعد لهم من الكرامة إن أطاعوه، وما أعد لهم من العقوبة إن عصوه، ويخبرهم بصنعه في أوليائه وأعدائه، وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء، ويثني على أوليائه بصالح أعمالهم وأحسن أوصافهم، ويذم أعداءه بسيئ أعمالهم وقبيح صفاتهم،

---

(١) رواه البخاري، رقم الحديث (٤٦٦٢)، باب: (قول المقرئ للقارئ: حسبك).

ويضرب الأمثال، وينوع الأدلة والبراهين، ويجيب عن شبه أعدائه أحسن الأجوبة، ويصدق الصادق، ويكذب الكاذب، ويقول الحق، ويهدي السبيل، ويدعو إلى دار السلام ويذكر أوصافها وحسنها ونعيمها، ويحذر من دار البوار ويذكر عذابها وقبحها وآلامها، ويذكر عباده فقرهم إليه وشدة حاجتهم إليه من كل وجه، وأنهم لا غنى لهم عنه طرفة عين، ويذكر غناه عنهم وعن جميع الموجودات، وأنه الغني بنفسه عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه بنفسه، وأنه لا ينال أحد ذرة من الخير فما فوقها إلا بفضله ورحمته، ولا ذرة من الشر فما فوقها إلا بعدله وحكمته. ويشهد من خطابه عتابه لأحبابه ألطف عتاب، وأنه مع ذلك مقيل عثراتهم، وغافر زلاتهم، ومقيم أعذارهم، ومصلح فاسدهم، والدافع عنهم، والمحامي عنهم، والناصر لهم، والكفيل بمصالحهم، والمنجي لهم من كل كرب، والموفي لهم بوعده، وأنه وليهم الذي لا ولي لهم سواه؛ فهو مولاهم الحق، ونصيرهم على عدوهم؛ فنعم المولى ونعم النصير. فإذا شهدت القلوب من القرآن ملكاً عظيماً رحيماً جواداً جميلاً هذا شأنه؛ فكيف لا تحبه، وتنافس في القرب منه، وتنفق أنفاسها في التودد إليه، ويكون أحب إليها من كل ما سواه، ورضاه آثر عندها من رضا كل ما سواه؟! وكيف لا تلهج بذكره، ويصير حبه والشوق إليه والأنس به هو غذائها وقوتها ودواؤها؛ بحيث إن فقدت ذلك؛ فسدت وهلكت ولم تنتفع بحياتها؟!)[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: الفوائد، ١/ ٢٨.

البراهـــين الأربعـــة [١]

من أعظم الطُرق المؤدية إلى محبة الله -عز وجل- في الدنيا والفوز بجنته في الآخرة التمسك بكتابه العظيم وبسنة نبيه محمد ﷺ والعمل بهما على فهم السلف الصالح -رحمهم الله تعالى-.

وقد أنزل سبحانه وتعالى كلامه العظيم بواسطة جبريل -عليه السلام -على نبينا محمد ﷺ، وجاء وصف ذلك في حديث النواس بن سمعان -رضي الله تعالى عنه -قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله أن يوحيَ بالأمر؛ تكلَّم بالوحي؛ أخذت السماوات منه رجفةٌ أو رعدةٌ شديدة خوفاً من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السماوات؛ صَعِقُوا وخرُّوا لله سجداً فيكون أول من يرفع رأسهُ جبريلُ فيكلمهُ الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبريلُ على الملائكة كلما مرَّ بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربُّنا يا جبريل؟ فيقول جبريلُ: قال الحقَّ وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبريلُ فينتهي جبريلُ بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل**» [٢].

يا أهل القرآن: تدبروا كتاب الله -تعالى- من سورة الفاتحة إلى سورة الناس تجدون القصص والتوحيد، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، وسُطّر فيه ما حدث في العصور الماضية للعبرة والاتعاظ: ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: ٤٥]، وتجدون فيه أربعة براهين لإثبات وتحقيق البعث والنشور، ويأتي

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ١٥/ ٩/ ١٤٣٢هـ.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة، رقم الحديث (٥١٥)، وضعفه الألباني.

كل برهان بصور متعددة وأمثال مختلفة : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١] :

- **البرهان الأول**: خلق السموات والأرض، لأن خلقهما من أعظم البراهين على بعث الناس بعد الموت ؛ لأن من خلق الأعظم الأكبر لاشك في قدرته على خلق الأضعف الأصغر والآيات الدالة على هذا كثيرة، كقوله -تبارك وتعالى -: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧].

- **البرهان الثاني**: إحياء الأرض بعد موتها، لأن من أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الناس بعد موتهم، كقوله -تبارك وتعالى -:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: ٣٩].

- **البرهان الثالث**: خلق الإنسان من العدم، لأن من خلق الإنسان على غير مثال سابق قادر على إعادة خلقه مرة أخرى، كقوله -تبارك وتعالى -: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: ٧٧-٧٩].

- **البرهان الرابع**: إحياء بعض الموتى في الدنيا، لأن من أحيا نفساً واحدة بعد موتها قادر على إحياء جميع النفوس، قال -تبارك وتعالى-: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [لقمان: ٢٨]، وإحياء الموتى في الدنيا كما في قصة قتيل بني إسرائيل، قال -تبارك وتعالى﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ

﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٢-٧٣]، وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، قال -تبارك وتعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وقصة إبراهيم - عليه السلام - في إحياء الطيور، قال -تبارك وتعالى-: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فهذه البراهين الأربعة في القرآن العظيم داعية للتدبر ومعرفة حقائق البعث والنشور، ومن كان همَّه العيش مع آيات الله تعالى نال السعادة في الدنيا والآخرة، نسأل الله الكريم لنا ولكم من فضله.

❁ ❁ ❁

الحصـون الإبريزيـة [١]

أصبحت الأيدلوجيات في الأزمنة المتأخرة تشكل أمراً هاماً في تحقيق الدراسات الاستراتيجية، والأهداف العسكرية، والمصالح السياسية، والخطط الاقتصادية، والأنماط الاجتماعية، والتوجهات الثقافية، وتحدد النتائج على أرض الواقع بالإيجابيات والسلبيات.

ومن المهم إدراك فقه الواقع على النحو المطلوب، حتى لا يظهر الارتباك والعشوائية والعجز في اتخاذ القرارات؛ مما يؤثر بالسلب على التخطيط للمستقبل لتطوير واقع الأفراد والمجتمعات في الأمة الإسلامية.

ومن المعلوم أن المقدمات الصحيحة لا بد أن ينتج عنها عواقب سليمة ونتائج سديدة، فحاجة الأمة ماسة لاستعادة مكانتها والجدية في تطوير مناهجها ؛ فلا يخفى على العقلاء أن مناهج الرخاء لا تنتج للأمة قادة للأزمات، ولذا علينا أن نعي أن لكل واحد واجباً موكلاً عليه شخصياً ببث روح العمل الجماعي فيمن حوله مع استفادة أفراد المجتمع من القدرات البشرية والمقدرات الطبيعية وتناقل الخبرات والتجارب بينهم، وهذا - مما لاشك فيه - لابد أن ينتج عنه إشراقة أمل ونظرة تفاؤل أن المستقبل للإسلام مهما كانت الظروف والتحديات، وخاصة إذا أدرك كل فرد في المجتمع الإسلامي أنه على ثغر من ثغور الإسلام ؛ وهذا يتضح

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ٢٠/ ١١/ ١٤٣٢هـ.

من خلال تصرفاته وممارساته؛ مما يساهم في رفع راية الدين وحماية حرماته، أما إذا لم يدرك المسلم هذا الواجب فقد يتسبب في ذهاب ريح الأمة وحضارتها وجعلها عالة على غيرها من الأمم والحضارات.

وإذا نظرنا -بعين الحيادية والخلفية الشرعية -إلى تدافع صراعات الحضارات الزائفة والتيارات الوهمية باختلاف أيدلوجياتها، وسرعة التغيرات السياسية على جميع الأصعدة؛ فإنه يظهر جلياً لنا -ولكل مستبصر-التخبط الواضح والتساقط الملحوظ من بعض من ينتسبون للإسلاميين -فضلاً عن غيرهم -وذلك بدخولهم هذه المعتركات الخطيرة والوقوع في دهاليز الإعلام والتواءات السياسات وشرذمة الأفكار، ويقع في هذه المستنقعات مَن ابتعد عن المعين الصافي وجفت روحه من الوحي الإلهي.

فينبغي للعقلاء إدراك حقيقة الأحداث خلال هذه الحقبة من تاريخ الأمة، وتحصنهم بالحصون الإبريزية بتشرب قلوبهم بالثقة واليقين أن النصر لهذا الدين وأهله، وارتواء أرواحهم بالإيمان، مما يدفع جوارحهم إلى العمل الدؤوب للفوز برضا الرحمن - تبارك وتعالى -، وإحياء شرائع الإسلام وذروة سنامه والإعداد له بأنواعه، والتسلح بالعلم الشرعي على منهج سلفنا الصالح، ودفع عجلة الإصلاح بين الأفراد والمجتمعات والحكومات، وزيادة الوعي والإدراك بنهاية الأفكار الشاذة والتيارات المخالفة، وكل هذا حمايةً للمعتقدات والمسلَّمات، وحرصاً على التزود من الزاد الحقيقي بالتقوى والعلم النافع والعمل الصالح لمواصلة المسير إلى رضى رب العالمين.

❁ ❁ ❁

كفى بالموت واعظاً [١]

استحضار قرب الرحيل وسرعة انقضاء مدة الحياة من أنفع الأدوية للقلب؛ فإنه يبعث على انتهاز فرص الخير التي تمر مر السحاب، والمبادرة بالأعمال الصالحات قبل طي الصحائف والسجلات، ويثير ساكن العزمات إلى دار البقاء والتنعم بنعيم الجنات، ويحثه على تجهيز متاع سفره، ويزهده في الدنيا، ويرغبه في الآخرة.

فعن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة**» [٢]، وعن عبدالله بن عمر -رضي الله تعالى عنهما -قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وكان عبدالله بن عمر -رضي الله تعالى عنهما- يقول: (إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك) [٣].

فكفى بالموت واعظاً؛ فهو هادم اللذات، ومفرق الجماعات، وقاطع الأمنيات، وميتم البنين والبنات، وهو الواعظ الصامت يأخذ كل أحد بدون استئذان؛ يأخذ الغني والفقير والملك والحقير والأمير والصغير والسقيم والكبير، وهو مقدمة من

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ٢٧/ ١١/ ١٤٣٢هـ.

(٢) رواه البخاري، رقم الحديث (٥٩٤٠)، باب: (من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه).

(٣) رواه البخاري، رقم الحديث (٥٩٣٧)، باب: (قول النبي ﷺ: كن في الدنيا كأنك غريب).

مقدمات اليوم الآخر؛ فمن مات قامت قيامته قال الله -جل وعلا -: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فمهما طال العمر فلا بد أن يأتي اليوم الذي يكون فيه العبد طريحاً بين أهله، لا حراك له وقد وقعت منه الحسرة، وجفت منه العَبرة، وثقل منه اللسان، واشتدت به الأحزان، وعلا صُراخ الأهل والولدان، ونادوا بالأطباء للدواء، ووقع القضاء، قال الحق - تبارك وتعالى -: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٨٥]، وفي هذه اللحظات ينظر العبد آخر النظرات إلى من كان حوله من الأبناء والبنات، والإخوان والأخوات، وتسبقها الآهات والزفرات، وتعقبها شدة السكرات والحسرات، فتخرج الروح وتبقى السيئات والحسنات.

قال التيمي -رحمه الله تعالى -: (شيئان قطعا لذة الدنيا: ذكر الموت، وذكر الوقوف بين يدي الله) (١)، وقال الدقاق -رحمه الله تعالى -: (مَن أكثر ذكر الموت أكرمه الله بثلاث: بتعجيل التوبة، وقناعة في القلب، ونشاط في العبادة، ومَن نسي الموت عاقبه الله بثلاث: بتسويف التوبة، وترك الرضا بالقليل، وتكاسل في العبادة) (٢)، وقال مطرف الشخير -رحمه الله تعالى -: (إن هذا الموت أفسد على أهل النعيم نعيمهم؛ فاطلبوا نعيماً لا موت فيه) (٣).

---

(١) انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي، ١/ ٨.

(٢) انظر: موارد الظمآن في دروس الزمان، السلمان، ٣/ ٢١٨.

(٣) انظر: حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني، ١/ ٣٠٠.

زر القبور -يا عبدالله -، وقف وقفة تأمل ومحاسبة؛ فإن مَن في القبور كانوا يمشون على الأرض، واليوم هم في بطنها، قال رسول الله ﷺ: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور؛ ألا فزوروها؛ فإنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجراً**» (١)، فأنت -يا عبدالله- اليوم تزور القبور، وغداً ستسكنها، تاركاً الدنيا بما فيها إلى ظلمة القبر وضيق اللحد بعد ما كُنتَ في سعة الدور والقصور؛ فسعادة الدنيا والآخرة في طاعة الله -عز وجل -وطاعة رسوله ﷺ.

وختاماً: قال علي بن أبي طالب -رضي الله تعالى عنه -: (إنَّ أخوف ما أخاف عليكم إتباع الهوى وطول الأمل؛ فأما إتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة؛ ألا إن الدنيا ارتحلت مدبرة، والآخرة ارتحلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون؛ فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل) (٢).

(١) انظر: المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ٣/ ٤٢١.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ١٨/ ٢٢٥.

القـــوى الثلاثـــية [١]

من تفكر في العواقب أخذ الحذر، ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر، ومن قصر الأمل أحسن العمل ومن أطال الأمل أساء العمل، وما من إنسان إلا وفيه ثلاث قوى:

القوة الأولى: (قوة البدن): وهذه القوة يشترك فيها الإنسان مع الحيوان مع أن الإنسان يسأل عن ذلك في يوم القيامة كما جاء في حديث أبي برزة الأسلمي -رضي الله تعالى عنه-قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه**» [٢].

القوة الثانية: (قوة العقل): وهذه القوة يشترك فيها المسلم مع الكافر مع أن الكافر ينفعه عقله في الدنيا لإعمارها ولم يحقق الحكمة العظيمة من خلقه وعلى ذلك لا ينفعه عقله في الآخرة فيقول عندما يحكم الله سبحانه وتعالى عليه بعدله وهو يتقلب في نار الجحيم: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠-١١].

القوة الثالثة: (قوة القلب): وهذه القوة لأهل الإيمان خاصة وقد كانت دعوة الأنبياء والرسل ومن سار على طريقهم ومنهجهم من العلماء والدعاة

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ١٥/ ١٢/ ١٤٣٢هـ.

(٢) رواه الترمذي، رقم الحديث (٢٤١٧)، وصححه الألباني.

والمصلحين بإخراج الناس من الظلمات إلى النور باستهداف القلوب وتصفيتها من الشرك وشوائبه وتزيينها بزينة التوحيد والإيمان.

ومن أعظم الطرق المؤدية لزيادة قوة القلب بالإيمان التفكر في كتاب الله تعالى والتفكر في الآيات الكونية التي دعا إليها تبارك وتعالى في كتابه العزيز ودعا إلى ذلك خير البرية محمد ﷺ في سنته المطهرة ليزداد المتفكر تعظيماً لله سبحانه وتعالى وإيماناً به ويكون دافعاً لفعل الخيرات وترك المعاصي والمنكرات ليفوز بالجنات.

وقد جاءت الدعوة الإلهية والنبوية للإحياء عبادة التفكر في الآيات العظيمة كما في حديث عبيد بن عمير - رضي الله تعالى عنه - أنه قال لعائشة - رضي الله تعالى عنها- : أخبرينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ قال: فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: «**يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي**» قلت: والله إني أحب قربك وأحب ما يسرك فقام فتطهر ثم قام يصلي فلم يزل يبكي حتى بل حجره وكان جالساً فلم يزل يبكي ﷺ حتى بل لحيته ثم بكى حتى بل الأرض فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال يا رسول الله: تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها** : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]» [1].

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٦٢٢)، وحسنه الألباني.

ومن أعظم ثمرات التفكر في آيات الله عز وجل أن يحقق العبد مقام المراقبة، ومن حصل على هذا المقام الرفيع وصل إلى أعلى مراتب الدين، وقد سطر العلامة ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى -كلاماً جميلاً واصفاً مقام المراقبة فقال: (المراقبة هي دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه) [1]، وكثير من الناس من يعلم بعض أسماء الله تعالى، ومنها أنه: (الرقيب والحفيظ والعليم والسميع والبصير)، ولكن أين أثرها في حياتنا العملية؟!.

وإذا أرد العبد أن يعرف قوة إيمانه فليراقب خلواته، ومتى تحقق الوصول لهذا المقام الكريم نال العبد السعادة في الدنيا والآخرة، قال تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١]، وقال جل وعلا: ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٣- ٣٥].

فإذا همت النفس بالمعصية فذكرها بنظر الله تعالى إليها فلا يكن الله أهون الناظرين إليها، فإن على العبد من الله عيناً ناظرة والملائكة عليه كاتبة، والكتب يوم القيامة ناشرة، فأين لذة المعصية؟!، وأين تعب الطاعة؟!، رحل كل بما فيه والجزاء من جنس العمل.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: مدارج السالكين، ٢/ ٦٥.

اللآلـئ الفكريـــة[1]

شدني كثيراً ما يقدمه الأستاذ الدكتور عبدالكريم بن محمد الحسن بكار -حفظه الله تعالى -من برامج في القنوات الفضائية، ومقالاته المكتوبة التي تشكل منبعاً فكرياً؛ لما فيها من أفكار مترتبة تصل إلى القارئ بوضوح تام، ناهيك عن ديباجته البلاغية المتينة وانغماسه في الاهتمام بالقضايا الفكرية والاجتماعية المعاصرة في زمن التحديات، متناولاً لها بسكينة وحكمة، مستمسكاً بالأصول والضوابط الشرعية.

وقد وقعت أسيراً -بالفعل -في هذا الإنتاج التربوي والفكري العالي منذ أن دخلتُ إحدى المكتبات الإسلامية ووقع بصري على أحد كتبه، فلم أتمالك نفسي إلا بقراءة معظم محتوياته، ثم انطلقتُ مسرعاً لصاحب المكتبة طالباً منه جميع إصدارات المؤلف، وبعد رجوعي للمنزل وضعتُ برنامجاً محدداً للاستفادة منها، فقضيتُ أجمل أيامٍ في قراءتها سائلاً الله -العلي القدير- أن ينفعني بها.

أما الفوائد التي استفدتها من هذا الإنتاج الرائع فكثيرة جداً، لأن كل كتاب زاخر بفوائد عظيمة، فآثرتُ -من باب المصلحة العامة -أن أخرج بعض ما استفدتهُ من هذه الفوائد بجمعها في هذا المقال المسمى باللآلئ الفكرية -وحُقَّ له ذلك -وقد ذيلتُ كل فائدة باسم الكتاب المستفادة منه، سائلاً الله تعالى أن يجازي

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ٨/ ٣/ ١٤٣٣هـ.

المؤلف خيراً، وأن ينفع بهذه الفوائد، ومن أهمها ما يلي:

اللؤلؤة الأولى: الفكر الليبرالي تَشَكَّل في أوربا من أجل كسر هيمنة رجال الكنيسة على الحياة العامة، وكانت الحرية وحق الاختيار هما أساس ذلك الفكر لكن نعرف أيضاً أن (الليبرالية) تتكيف مع المجتمع الذي تكون فيه، ولهذا فليس هناك ليبرالية واحدة وإنما هناك ليبراليات كثيرة. (كتاب: الصحوة الإسلامية)

اللؤلؤة الثانية: الفكر الإسلامي هو عبارة عن مجموعة من الرؤى والتحديات والطروحات والاجتهادات التي توصل إليها العقل السليم من خلال اشتغاله على النصوص والأحكام الشرعية. (كتاب: المناعة الفكرية)

اللؤلؤة الثالثة: ومن الملاحظ أن كثيراً من المصلحين والدعاة باتوا يركزون على نحو واسع في مسألة فقه الواقع وهذا منهم مؤشر إلى النضج والوعي بمتطلبات المرحلة. (كتاب: تكوين المفكر)

اللؤلؤة الرابعة: الداعية والواعظ والمربي والمتحرك في نطاق الشباب كل هؤلاء لا يرتاحون في الغالب للطرح الفكري العميق ولا للتفلسف والتنظير حيث يلمحون في ذلك نوعاً من الجهد غير المسوغ. (كتاب: نهوض التفكير)

اللؤلؤة الخامسة: الأمة بحاجة إلى الداعية والمصلح والمفكر والمتخصص وسيؤدي كل واحد منهم واجبة بطريقة نافعة، شريطة أن يعي كل واحد من هؤلاء طبيعة دوره وحدوده، وشريطة أن يصغي إلى ما لدى غيره ويحاول الاستفادة منه من أجل تطوير ما لديه وهذا يحتاج إلى التخلص من عقدة التفرد والتحلي بالتكامل. (كتاب: نهوض التفكير)

اللؤلؤة السادسة: من المهم أن يشتغل بالقضايا الإصلاحية واحداً أو اثنان في المائة من أهل الخير والعلم. وعلى الباقين أن ينشغلوا بحماية المجتمع من التحلل الخلقي، وينشغلوا بنشر العلم وتربية الناشئة وإعدادهم للمستقبل. (كتاب: نهوض التفكير)

اللؤلؤة السابعة: إذا أردت أن تعرف المستقبل، فانظر إلى الماضي ففيه عبرة وعظة وجواب عن كثير من التساؤلات وحسم لكثير من الأوهام والخيالات. (كتاب: وقفات للعقل والروح)

اللؤلؤة الثامنة: المستقبل يولد من رحم الحاضر، وإن زماننا سريع التقلب والتغيير والتطور، وإن استشراف المستقبل والإعداد له يجب أن يتم من أفق تحسين قرارات الحاضر؛ إذاً كلما كانت قراراتنا في التعامل مع واقعنا أكثر رشداً وأكثر حكمةً توقعنا بإذن الله تعالى مستقبلاً أكثر أمناً وازدهاراً. (كتاب: نهوض التفكير) .

اللؤلؤة التاسعة: إن عواطفنا وأحاسيسنا هي التي تشكل البنية العميقة لنا، فالإنسان يكون إنساناً ليس على مقدار تفكيره، ولكن على مقدار مشاعره وعواطفه. (كتاب: تكوين المفكر)

اللؤلؤة العاشرة: نحن الصحويين مطالبون أكثر من أي وقت مضى بالاهتمام بالتربية الروحية والاجتماعية، وإعداد الجيل الجديد للحياة من أفق رؤيتنا الجديدة للفرص المتاحة والتحديات الماثلة. (كتاب: الصحوة الإسلامية)

اللؤلؤة الحادية عشر: نحن على المستوى الفكري في حاجة إلى جهاز مناعة مماثل من أجل حماية فكر الأمة من التدمير ومن أجل إبقائه في حالة من النشاط المكافئ للتحديات التي تواجهنا. (كتاب: المناعة الفكرية)

اللؤلؤة الثانية عشر: إن الفكر الإسلامي سوف يكتسب من المناعة والحصانة والقابلية للاستمرار على مقدار ما يملك من التوازن في بنيته العميقة بين الثوابت والمتغيرات وبين المثالية والواقعية وعلى مقدار ما يملك من المرونة والفهم والاستيعاب وفي تقديم الحلول. (كتاب: المناعة الفكرية)

اللؤلؤة الثالثة عشر: العولمة تستخدم القوة الناعمة أو الذكية التي تعتمد على الجاذبية والإغراء، وليس على الترغيب والترهيب، ومع هذا فإنها تخترق العالم، وتحدث تأثيرات سياسية وثقافية واقتصادية تستعصي على العد والحصر. (كتاب: الصحوة الإسلامية)

اللؤلؤة الرابعة عشر: إن المسلم الملتزم والواعي بشجون عصره سيواجه من الآن فصاعداً المزيد من الشعور بالغربة وإن عليه أن يعد نفسه للاستفادة من هذا الشعور كي يجعل منه وقوداً روحياً في حركة التحرير: تحرير الذات وتحرير الأمة وبناء المستقبل. (كتاب: المناعة الفكرية)

اللؤلؤة الخامسة عشر: تجربتنا الإسلامية في الماضي والحاضر، تنطلق من أن النصر الحقيقي الذي افتتحت به الحضارة الإسلامية انطلاقتها كان على مستوى النفوس بتحريرها من حب الدنيا، ومن الطموحات الصغيرة، كما كان على مستوى العقول بتحريكها وتشغيلها، وفك أسرها من أغلال الخرافة والأوهام والتقاليد. (كتاب: رؤى ثقافية)

اللؤلؤة السادسة عشر: لا تحتاج الأمة اليوم إلى من يتكلم باسمها وإنما تحتاج إلى وعي جديد يدفعها إلى أن تعمل أفضل ما يمكن عمله في ظل الظروف والمعطيات. (كتاب: المتحدث الجيد)

اللؤلؤة السابعة عشر: إن الحضارة التي نعيش في ظلالها اليوم حضارة صورة وشكل وإن من غير الحكمة أن يتجاهل الدعاة ذلك على نحو كلي. (كتاب: المتحدث الجيد)

اللؤلؤة الثامنة عشر: الملاحظ اليوم انجذاب كثير من المثقفين إلى فلسفات خارجة عن هدي الوحي، وعن مقاصد الشريعة الغراء. كما أننا نلاحظ كذلك تركيزاً إعلامياً غير مسبوق على إشاعة المعارف المتعلقة بالقوة والتفوق واللذة، واكتشاف المجهول، مع إهمال مقصود أو غير مقصود للمسات والطروحات الفكرية المرتبطة بالفضيلة والهداية؛ مما أدى إلى ارتباك الوعي المسلم المؤسس على الالتصاق بمعاني التدين الحق، واتخاذ الكثير من سلوك السلف محكاً مرجعياً له. وهذا في الحقيقة عامل تأخير وانحطاط أكثر من أن يكون عامل بعث وارتقاء. (كتاب: تجديد الوعي)

اللؤلؤة التاسعة عشر: إن الآراء والأفكار والنظم التي ننتجها بغية إصلاح شأننا العام، تحمل على نحو دائم طابع البيئة الثقافية والاجتماعية التي نشأنا فيها، فالثقافة التي نتشبع بها ليست مجموعة معلومات وأقوال، وإنما هي أنساق من النظم التي تحدد تفكيرنا، وتعاملنا مع كل ما حولنا. (كتاب: تجديد الوعي)

اللؤلؤة العشرون: النقد هو الذي يجدد الأبنية الفكرية، حين يصقلها، ويجعلها في حالة من التوهج والإشعاع. (كتاب: تجديد الوعي)

اللؤلؤة الحادية والعشرون: إن نقد الذات سيظل مقياساً دقيقاً للوعي بالذات وللوعي بالماضي والحاضر، والأمة التي تحرم منه تحرم من خير كثير. (كتاب: فصول في التفكير الموضوعي)

اللؤلؤة الثانية والعشرون: لا حظ كثير من الناس أيضاً أن كثيراً من الأفكار التي تدعو إلى الاستقلال العقلي، ومسايرة روح العصر، وقد ولدت لدى معتنقيها نوعاً من العتمة الروحية، مما أدى إلى التحلل من كثير من القيود الأخلاقية التي كانت محترمة من قبل. وهذا في اعتقادي ليس نتيجة مباشرة لقبول الأفكار الجديدة، وإنما يحدث بسبب إهمال الجوانب الروحية لدى هذا الفريق من الناس. (كتاب: تجديد الوعي)

اللؤلؤة الثالثة والعشرون: بعض المفكرين العرب خفضوا الثقافة كلها إلى نسق من أنساقها، وهو النسق المعرفي، وشطبوا النسق الروحي والعاطفي، بل النسق الأخلاقي أيضاً؛ وكأن الأفكار والمعطيات العلمية والبحثية، هي التي تسير الوجود؛ وهذا خطأ فادح؛ فالبشر كائنات عاطفية في المقام الأول وكثير من مشروعاتنا المصيرية لا يقوم على أساس عقلاني، فاختيار شريكة الحياة -كما اختيار الأصدقاء -كثيراً ما يقوم على أساس عاطفي، وأحياناً مصلحي. وكانت النتيجة لذلك أن عالم أولئك المفكرين والباحثين ظل مفعماً بمشاعر الوحشة والمرارة والجفاء. (كتاب: تجديد الوعي)

اللؤلؤة الرابعة والعشرون: ومن الملاحظ اليوم أن المفتونين بالحضارة الغربية، لا يهتمون بصحة الأفكار، ولا بمدى انسجامها مع الأفكار والقيم الإسلامية التي تشكل صلب ثقافتنا بمقدار اهتمامهم بفاعلية تلك الأفكار، وتأثيرها في تحسين الإنتاجية، مع أن الفكرة أو القيمة التي لا تجد لها أساساً في البنى العميقة للثقافة قد تتحول فاعليتها من وسيلة بناء إلى وسيلة هدم. (كتاب: تجديد الوعي)

اللؤلؤة الخامسة والعشرون: وتزداد أهمية التفكير في زماننا هذا بسبب وفرة المعلومات إلى حد إرباك الذهن، وصار لدينا مجال متسع للتحليل في كل قضية من القضايا، كما كثرت الاحتمالات الواردة في كل مسألة من المسائل، حتى أصبح من الممكن أن يتلقى معظم مايطرح من آراء بالقبول وبتنا في وضع لا نحسد عليه. (كتاب: اكتشاف الذات)

اللؤلؤة السادسة والعشرون: أبرز صفات المفكر أنه يمتلك رؤية نقدية شاملة ينقل من خلالها تناقضات مجتمعه والصعوبات التي يعاني منها إلى حس الناس وأعصابهم. فإذا ما حرمت أمة هذا النمط من الرجال، وأوجدت صعوبات عطلت وظائف التبصيرية فإن تأزماتها مرشحة للبقاء والتجذر والتوسع. (كتاب: فصول في التفكير الموضوعي)

اللؤلؤة السابعة والعشرون: إن انحباس الحركة الإصلاحية في كثير من بلاد المسلمين، يعود في جزء منه، إلى أن المكتبة الإسلامية تعج بعشرات الألوف من الكتب والرسائل التي يزج بها سنوياً، لكنها خالية -تقريباً -من الكتب التي تدل الإصلاحيين على موطن الخلل والقصور في أعمالهم؛ والعجيب أن النقد الذاتي معدوم، والنقد الغيري مرفوض وليس أمام من يتألم على الطاقات المشلولة، والإمكانات المهدرة سوى الثناء أو السكوت. (كتاب: تجديد الوعي)

اللؤلؤة الثامنة والعشرون: لدى بعض المثقفين العلمانيين نوع من الهلع من توبة بعض زملائهم أو ملاينتهم للإسلاميين، لأنهم يريدونها حرباً لا هوادة فيها، وهم يظنون أنهم بذلك يحمون الجهود التنويرية التي يبذلونها من الارتباك والنكوص. (كتاب: الصحوة الإسلامية)

اللؤلؤة التاسعة والعشرون: أبرز سمة من سمات نظرة الإسلام للإنسان التوازن والاعتدال؛ فلا يطغى الاهتمام بشؤون الآخرة على إعمار الأرض وتلبية متطلبات العيش السوي، كما لا يطغى الاهتمام بالدنيا على القيام بما يتطلبه الفوز بالآخرة. (كتاب: اكتشاف الذات)

اللؤلؤة الثلاثون: فإن مسلم اليوم مطالب بأن يبحث عن التوازن في كل مظاهره وأشكاله: يوازن بين إمكاناته وطموحاته، وبين حاضره ومستقبله، وبين حاجاته الروحية والفكرية، وحاجاته المادية، وبين خصوصياته وعلاقته الاجتماعية، وإنما نقول ذلك؛ لأن المرء حين يصاب بأزمة كبرى -كما هو حاصل الآن-يفقد حاسَّة الاتزان لديه، ويصبح الاستغراق في شيء على حساب شيء آخر مرضاً عاماً أشبه بالوباء، وانظر إلى إشعاعات قول الله -جل وعلا-: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [القصص: ٧٧]. (كتاب: اكتشاف الذات)

صنم الليبرالية السعودية [١]

عاشت أوروبا إلى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي في الاستعباد والخضوع والتسلط من رجال الكنيسة من أجل عبادة أهوائهم وشهواتهم، وسياسية ملوكهم ورؤسائهم، وفي تلك الأثناء كسر فريق من المفكرين والناقدين هيمنة رجال الكنيسة من أجل تحرير الإنسان من الظلم والاستبداد والطغيان، وقد عُرِفوا بالأحرار أو أصحاب المذهب الحر أو مذهب الحرية، ومازال هذا المسمى يطلق على من أراد التحرر من الاستعباد إلى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، ثم تداولت بعد ذلك كلمة ليبرال التي كان يقصد بها في وقتها الشخص المتحرر فكرياً ومن ذلك كان امتداد الفكر الليبرالي.

وليس من السهل وضع تعريف محدد لليبرالية؛ بسبب اختلاف مفهومها من فيلسوف لآخر ومن جيل إلى جيل آخر؛ ومن هنا تعددت تعريفاتها وتنوعت، ومع هذا الاختلاف فإن لليبرالية جوهراً يتفق عليه جميع الليبراليين في كافة العصور والأمكنة مع اختلاف توجهاتهم النظرية وتطبيقاتهم الواقعية بأنها تكمن في المادية والفردية والعقلانية والحرية المطلقة من كل الثوابت والقيود، وهذه الأسس لليبرالية انبثقت كغيرها بأن جاءت كردود أفعال بسبب الممارسات الكنسية واستبدادها وظلمها قبل كسر هيمنتها من المفكرين الناقدين الأحرار.

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ٨/ ٦/ ١٤٣٣هـ.

وأصبح من الواضحات لكل مستبصر أنه ليس لليبرالية كتاب مقدس يستضيؤون به أو منظِّر لا يُخرَج عن قوله وإنما اعتمدت على الأسس التي قامت عليها وتحاول أن تتكيف مع المجتمعات بقدر الاستطاعة والمساحة المتاحة لها على أرض الواقع، **ومن أهم المجالات التي تحاول الليبرالية تطبيقها في المجتمعات:**

١-**الليبرالية الدينية:** ظهرت كردة فعل على الفساد الكنسي وجُعلت بين الخالق والمخلوق وتطور الأمر إلى التعددية والحرية المطلقة في المعتقدات مع عزل العقيدة والشريعة عن نظام الحياة وإبقاؤها محصورة في الإطار الشخصي والروحي، وهذا هو أساس العلمانية.

٢-**الليبرالية الاجتماعية:** هي الانفتاح على الحضارة الغربية وتطبيق قيمها وتهميش الحضارة الإسلامية ومحاربة قيمها وجعل الفرد والمجتمع يعيش في حرية مطلقة ما لم يتعد على الغير.

٣-**الليبرالية الفكرية:** تقوم على حرية التفكير والتعبير وعدم مصادرة الرأي وأنه ليس ثمة مانع في حمل أي فكرة ونشرها مهما كان خطؤها وصوابها.

٤-**الليبرالية الاقتصادية:** حرية الفرد المطلقة في الكسب والإنفاق والاستهلاك وتنوع التجارة بدون تدخل من الدولة في أي معاملة اقتصادية بين الفرد وطبقات المجتمع، ومعنى ذلك أنها تقوم على نظام الاقتصاد الرأسمالي الذي يقابل النظام الاقتصاد الاشتراكي.

٥-**الليبرالية السياسية:** تقوم على فصل السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية وتقوم على مبدأ حكم الشعب للشعب والذي يعد جوهر الليبرالية السياسية، وهذا هو أساس النظام الديمقراطي.

ومن المعلوم عند العقلاء أن العالم – على وجه العموم – وأوروبا – على وجه الخصوص – تأثروا بالإسلام من خلال احتكاك المسلمين بالغربيين في الأندلس، ومن خلال البعثات الطلابية الأوربية إلى المدن الإسلامية الكبرى كالقاهرة ودمشق وبغداد وغيرها لطلب العلم ونقل الحضارة الإسلامية إلى أوروبا وتطويرها وتصديرها بعد ذلك للمسلمين وهي متشبعة بالأيدلوجية الغربية ومنها الفكر الليبرالي المنتقل عبر مراحل والمتطور سلباً وإيجاباً على قدر معطيات الواقع، وقد ساهم بشكل كبير في انتشاره وجود الانحرافات العقدية في بعض البلدان العربية وظهور الاستبداد السياسي، وقد تأثر الحال كثيراً في المنطقة بعد خروج القوى الاستعمارية وبقاء أثرها السلبي وزاد الأمر سوءاً انفصال الشعوب بالحدود الجغرافية واستقلالية السياسات والثقافات والأفكار لكل بلد، ومع هذه التطورات ظهرت تيارات مؤدلجة ومدعومة من بعض الدول كتيار القومية العربية الذي جيَّش الرئيس المصري الهالك جمال عبد الناصر له جميع الإمكانيات وخاصة الإعلامية من أجل نشره في المنطقة وهيمنته على الساحة السياسية والفكرية في وقت اختفى صوت الفكر الليبرالي ثم ظهر بتدرج بعد التحولات في التيار القومي العربي في المنطقة وخاصة بعد هلاك جمال عبد الناصر واستعاد الفكر الليبرالي نشاطه وتحسس مكانه في بعض مناصب دول المنطقة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية.

وإذا أردنا أن نحدد حديثنا عن الليبراليين السعوديين فهم كغيرهم من حملة هذا الفكر في البلدان الأخرى ولكن مع الاختلاف في الأساليب المتاحة، وقد ارتفعت أصواتهم بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر مستغلين الهجوم على

حركة الصحوة ذات التوجه السلفي من قِبل الغرب وأذنابهم من الداخل ومستفيدين من هذه الأحداث بإطلاق عنان حرية التعبير في وسائل الإعلام من أجل مواكبة الإعلام العالمي فبدأ الليبراليون السعوديون ينظِّرون لأفكارهم ويدعون إليها عبر أبواقهم المستأجرة من المتضلعين بألبان الغرب المغشوشة وبدؤوا يكتبون ويخططون ما يشاؤون ويفكرون مع أسيادهم وهم على شُرفات البيت الأبيض، وقد استفادوا كثيراً من بعض الإسلاميين الذين تحولوا إلى التيار الليبرالي بعد مرور بعضهم على قنطرة التنوير، ويعتبر هذا الصنف شديد الخطورة لأنه يمزج الدين الإسلامي بالفكر الليبرالي بخطاب جديد من الممكن أن يخدع الكثيرين مما لا علم لهم بمبادئ وأصول هذا الفكر المستورد.

والمتابع للتيار الليبرالي في السعودية يجد أن أكثر أطروحاتهم في وسائل الإعلام -التي يتحكمون في أغلبها -لا تخرج عن التشكيك في الثوابت الشرعية ونقد العلماء وإلصاق التهم بالمشايخ والدعاة وإبراز وتضخيم زلات هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والطعن في المناهج التعليمية وجعلها من أسباب الإرهاب العالمي والمحلي والحديث -بدون ملل -عن حقوق المرأة كقيادة المرأة للسيارة ومحاولة التغرير بها في جميع الوسائل لتنسلخ المرأة عن حيائها وقيمها ومبادئها وخاصة في قضية الحجاب ووجود المحرم.

وقد وصف التيارَ الليبرالي السعودي شخصياتٌ عديدة -ذات توجهات مختلفة -أوضحوا مدى تبخر الفطر السليمة من عقول وأجواف الليبراليين والتفنن في تطبيق الانحلال الخُلقي وضياع القيم السامية وتفتت الوطنية المشروعة والعمل الدؤوب في نشر المشاريع الهدَّامة باسم النهضة والتطوير،

ومن شهادات هذه الشخصيات ما يلي:

١- يقول الدكتور محمد الهرفي في برنامج ساعة حوار: (معظم الذين يدَّعون أنهم ليبراليون في السعودية كاذبون !!! هؤلاء عبثيون، وشهوانيون، وليس لديهم ليبرالية، ولا قناعة بمبدأ).

٢- يقول الدكتور محمد الأحمري في برنامج إضاءات: (مجموعة من الليبراليين فهمت الليبرالية أنها الجزء الأسفل من الإنسان).

٣- يقول الدكتور عبدالله الغذامي في حوار مع موقع الساخر: (رأيتُ واحداً من الليبراليين السعوديين في الكويت يقدم ورقة بحثية يصف بها الليبرالية بأنها: احتساء الخمرة والمضاربة بعد ذلك، وكان هذا يوماً مشهوداً في ندوة هناك، وكانت الفضيحة كبرى لهذا الذي يقول عنه عندنا بأنه مفكر وليبرالي وروائي (كمان) !!).

٤- يقول الأستاذ نواف القديمي في مجلة رؤية: (غَدت الصورة الذهنية لليبرالية السعودية في المجتمع أنها مجرد دعوة للتحرر الأخلاقي ليس إلا. ولن يجد من يتابع الصوت المرتفع للتيار الليبرالي في الصحف والمنتديات والفضائيات إلا الوصول إلى هذه النتيجة !!).

٥- يقول الكاتب خالد السليمان في صحيفة عكاظ: (المشروع الليبرالي عند المتلبرلين السعوديين الذين اقتحموا صفوف الليبرالية واحتلوا مقاعدها الأولى ... ليس أكثر من مشروع أنثوي يبدأ بالمرأة، وينتهي بالمرأة، مروراً بالمرأة».

٦- يقول الكاتب محمد سعيد طيب في صحيفة الجزيرة (المجلة الثقافية): (إن مدعي الليبرالية كثيرون لكن معظمهم (دشير) -هكذا بالعامية-، أي منحلون بالفصحى !!».

٧- تقول الكاتبة سمر المقرن في صحيفة الصوت الكويتية: (الذين يسمون أنفسهم الليبراليين في السعودية يتمسحون بالليبرالية وهم أبعد ما يكون عنها، فالليبرالية تعني الحرية وتعني الانفتاح، لكنهم ينظرون إلى الليبرالية من الجانب التنظيري فقط، فعلى أرض الواقع كل تلك التنظيرات تتبخر وتعد كلاماً على ورق، كما أنهم ينظرون إلى المرأة باعتبارها ماكينة تفريخ، أو أنها وسيلة للترفيه والمتعة والجنس فقط، وينظرون لها نظرة لا أخلاقية).

٨- قال الكاتب والروائي عبده خال في برنامج إضاءات عن سبب تسمية روايته بفسوق: (في أوقات كثيرة الاسم يكون وليد أمنية سابقة ليست أمنية سابقة، لكن هي نتاج لهذا العمل !!).

٩- تقول الكاتبة نادين البدير في مقالتها (الليبرالية السعودية: موضة أم نفاق؟!): (من السهل الكشف عن أولئك الذين يدعون الليبرالية دون أن يؤمنوا بها أو يطبقوها على أنفسهم، فحياتهم الخاصة مليئة بالمفاجآت التي تعكس ازدواجية الشخصية، هناك الليبرالي الذي ينادي بخروج المرأة واختلاطها بالرجل، مطالبة واقعية ومنطقية ومفرحة، لكن لنسأله: أين زوجتك أو زوجاتك؟ أين أخواتك؟ أين بناتك؟ هل يخرجن فعلاً ويختلطن بالرجال؟ أين نساء عائلتك عن الندوات التي تعقدها مع غيرك من المثقفين؟ لمن إذاً توجه دعوات التمرد؟ إنها لنساء الغير، لزوجات الغير، وبنات الغير).

١٠- تقول الكاتبة نورة الصالح في صحيفة العيينة: (قضيت سنوات طويلة أؤمن بقيم الليبرالية، أدافع عنها وأناضل في سبيلها، وأدبج الصفحات في جمالها. كانت صورة الإسلاميين في خيالي باهتة متخلفة متعجرفة ولا تلوموني فهذا ما

تعلمته على يد الليبرالية لقد كان كل من ينادي بتطبيق الشريعة مجرماً في نظري لكنني منذ أن تعرفت على بعض الكاتبات الليبراليات وجدت عندهن تفريطاً رهيباً في الصلاة بل وبعض الجريئات منهن يطلقون على المثقفة المواظبة على الصلاة بعض ألقاب «المطاوعة» التي تتظاهر بالمزاح وتخفي اللمز!! لم يتوقف الأمر عند الصلاة، بل أنني بدأت أشم بين بعض الزميلات والزملاء الليبراليين شيئاً من رائحة المشروبات والعلاقات غير المشروعة صحيح أن الأمر لم يكن عاماً بين الجميع لكن البقية لم تكن ترى أن هذا شيئاً خطيراً بل تراه مجرد خيار شخصي يجب عدم إعطائه أكبر من حجمه هجر الصلاة والمشروبات والعلاقات غير المشروعة رأي شخصي !! لم أستطع بتاتاً تصور ذلك المهم هناك أيضاً ممارسات أخرى لكن أنزه آذانكم عن قولها).

ومن الذين تركوا الفكر الليبرالي مؤخراً الكاتب خالد الغنامي، وقد كتب عدداً من المقالات، منها:

- **(الليبرالية بوابة لكل عدو)**: انتقد فيه الليبرالية التي كان معجباً بها من قبل ووضح حقيقة معرفته بها بقوله: (من عرفها كمعرفتي بها يدرك أن مظهرها الداخلي عندما تلقي ملابسها، شيء في غاية البشاعة)، وبيَّن بعض مشاريعهم بعد مخالطتهم فترة من الزمن بقوله: (الليبرالية قد تبدت لي كمشروع يسعى بأساليب ملتوية لتدمير هذا الوطن)، وكشف الباب الذي يُدخل معه إلى الليبرالية ويجد التأييد من الأعضاء ويستقبل بالأحضان فقال: (فكل من يكره شخصيتنا ومذهبنا ومنهجنا وديننا، لم يكن يحتاج إلا أن يقدم نفسه على أنه ليبرالي لكي يأخذه الليبراليون بالأحضان ويوجهون له الدعوات ليكون واحداً منهم، وأحداً

من المثقفين المتحررين من التقليد، المحبين للحياة والإنسانية)، وصرح بالمشكلة الحقيقية التي يعاني منها الليبراليون السعوديون بقوله: «إنهم لا يملكون القدرة على الانطلاق من الذات. لا بد أن يكون تابعاً. كيف ينطلق من الذات وقد انفصل عن هويته؟ فلو قلت مثلاً أنك تريد أن تكون ليبرالياً لكنك تريد أن تبقى عدواً لإسرائيل وتحلم باستعادة فلسطين، فإنه سيقال لك إن هذا غير ممكن، لأن هذه أحلام إسلامية محافظة وليست ليبرالية .إذن لا بد أن تكون تابعاً بالكامل للمشروع الصهيو -أمريكي وإلا فلن تكون ليبرالياً حقيقياً».

- **(دبابة الليبراليين)**: أشار أن الليبراليين يقدمون خدمات لغيرهم بقوله: (الليبرالية قد تعرجت في خطين واستخدمت لخدمة أجندتين، فهناك الليبرالية التي تخدم المشروع الصهيو-أمريكي، وهناك الليبرالية التي تخدم المطامع الإيرانية في المنطقة العربية وكلاهما حاضر بقوة)، وذكر بعد ذلك كلام رأس الليبراليين الجدد الكاتب شاكر النابلسي -عامله الله بعدله - بأنه لا يمانع التعامل مع أي قوة خارجية لإسقاط الحكومات الديكتاتورية في البلاد العربية بأي وسيلة كانت عبر ظهر جمل عربي أو على ظهر دبابة بريطانية أو بارجة أمريكية أو غواصة فرنسية وعلق بعد هذه المكاشفة بقوله: (فهل هناك خيانة أكبر من هذا التصريح؟! وإذا كان الليبراليون قد تخلوا عن الإسلام، ألا يجب أن تبقى لديهم ذرة من عروبة أو رجولة؟!).

- **(سدنة المعبد)**: بيَّن فيه من يقف وراء المنتديات الليبرالية بقوله: (إنني لا أشك في وجود أيد باطنية تعمل في الخفاء. إنني لا أشك لحظة، أننا أمام غزو فارسي استطاع أن يجمع قلوب البعض ممن يختلف مذهبه عن المذهب الأم في

المملكة. غزو ثقافي فارسي يدرك بمكر ودهاء شديد أنك عندما تفقد هويتك، تفقد تبعاً لذلك كلَّ شيءٍ).

وختاماً: نستطيع أن نجسِّد الفكر الليبرالي في بلاد الحرمين أنه مجرد أدوات تغريبية في المجتمع لتحقيق الأطماع الغربية، وساهم في نشر هذا الفكر الدعم الواضح والخفي من بعض السفارات الأجنبية ومن بعض رجال الأعمال الخونة وغيرهم، وقد بدت هذه الآية الكريمة تتمثل أمامي في كتابتي عن الليبرالية السعودية ومن كان على شاكلتها: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]، ورغم هذه الجهود الليبرالية الشيطانية، فإنها - إن شاء الله تعالى - ستذهب بها الريح في مكان سحيق إذا تكاتف الجميع من أهل العلم والخير والصلاح والإصلاح وكانوا سداً منيعاً مبنياً من وحي الكتاب العظيم والسنة والمطهرة، ويكسو هذا السد المنيع الحكمة والمعاملة الحسنة لأن الله - تعالى - ناصر دينه ومتم نوره ولو كره المنافقون.

❁ ❁ ❁

نجـــوم الســـمـــــاء [١]

كل مسلم عاقل يعلم أن الصحابة الكرام -رضي الله تعالى عنهم أجمعين - هم أفضل الخلق بعد الرسل والأنبياء، وأن قلوبهم أنقى وأتقى قلوباً بعد قلب النبي ﷺ وقلوب الرسل والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام -، وهم أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، وأتقاهم لله -تعالى -، وأكثرهم خشية لله -تعالى -، وأفضل منا عند الله -عز وجل -.

ومن أصول أهل السنة والجماعة حب صحابة رسول الله ﷺ لأنهم صحابة خاتم الرسل والأنبياء وهم نقلة التشريع، ومن الذين ذكروا تلك الأصول العلامة أبو جعفر الطحاوي -رحمه الله تعالى-بقوله: (ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم. ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان. ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ: أولاً لأبي بكر الصديق -رضي الله تعالى عنه -، تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه -، ثم لعثمان -رضي الله تعالى عنه -، ثم لعلي بن أبي طالب -رضي الله تعالى عنه -، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون، وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله ﷺ، وقوله الحق، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة،

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ٢٢/ ٨/ ١٤٣٣هـ.

والزبير، وسعد، وسعيد، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة - رضي الله تعالى عنهم أجمعين -، ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ، وأزواجه الطاهرات من كل دنس، وذرياته المقدسين من كل رجس؛ فقد برئ من النفاق. وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين -أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر -لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل) (١).

وقد ذكر فضلهم سبحانه وتعالى في كتابه العظيم في مواضع عديدة منها قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩]، قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى-: (ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك -رحمه الله تعالى -، في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة - رضي الله تعالى عنهم أجمعين -، قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية . ووافقه طائفة من العلماء على ذلك. والأحاديث في فضائل الصحابة والنهي عن التعرض لهم بمساءة كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم، ورضاه عنهم. ثم قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم ﴾ [الفتح: ٢٩] من هذه لبيان الجنس، ﴿مَّغْفِرَةً ﴾ أي: لذنوبهم . ﴿ وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ أي: ثواباً جزيلاً ورزقاً كريماً، ووعد الله حق وصدق، لا يخلف ولا يبدل، وكل من اقتفى أثر الصحابة فهو في حكمهم، ولهم

(١) انظر: العقيدة الطحاوية، الطحاوي، ١/ ٨١.

الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة، رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم، وقد فعل. قال مسلم في صحيحه: حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه)** [1].

وجاء في صحيح الإمام مسلم -رحمه الله تعالى -عن أبى بريدة عن أبيه- رضي الله تعالى عنهما -قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلى معه العشاء قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: «**ما زلتم ههنا؟**» قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلى معك العشاء قال: «**أحسنتم أو أصبتم**» قال: فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء فقال: «**النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**»[2]، قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى -: (معنى الحديث أن النجوم مادامت باقية فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت، وقوله ﷺ: «**وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون**» أي: من الفتن والحروب، وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً وقد وقع

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٣٦٢.

(٢) رواه مسلم، رقم الحديث (٦٤٠)، باب: (تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام).

كل ذلك. وقوله ﷺ: «**وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**» معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك وهذه كلها من معجزاته ﷺ»[1].

وختاماً: فإن الصحابة - رضي الله تعالى عنهم أجمعين - نجوم وزينة سماء هذه الأمة، والشرف كل الشرف في إتباعهم، وبذل كل غالٍ من أجل الذب عنهم وحفظ مكانتهم ونشر محبتهم، وقد وردت الأحاديث الكثيرة التي بلغت عنان السماء في فضلهم لأنهم في الحقيقة حلقة الوصل بين الأمة وبين نبيها ﷺ فإذا قطعت هذه الحلقة بأي طريقة يعني قطع صلة الأمة بنبيها ﷺ، وبالتالي فلا يجوز أن يناقش في عدالة الصحابة -رضي الله تعالى عنهم أجمعين - بعد عدالة الله تعالى ورسوله الكريم ﷺلهم، ومن فضله تعالى أن منَّ على الصحابة -رضي الله تعالى عنهم أجمعين- بالصحبة، فلا يجوز لغيرهم أن يقيس نفسه بهم وأن يجعل من نفسه حكماً عليهم.

نسأل الله العلي القدير أن يجمعنا برسولنا ﷺ وصحابته الكرام ووالدينا ومن أحببناهم في الله وأحبونا فيه في الفردوس الأعلى يارب العالمين.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن حجاج، النووي، ٨/ ٣٠٧.

صفحات من حياة داعية [١]

شرف عظيم للعبد عندما يدفعه الإخلاص لله تعالى أن يسلك طريق الأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام -ويتفيأ بظلال قدوتهم والسير على منهجهم في دعوة الناس للخير للحصول على المقصد الأسمى والمقام الأعلى برضا الرحيم الرحمن -سبحانه وتعالى -.

عندما وقفت متأملاً نصوص الكتاب والسنة في فضائل الدعوة إلى الله تعالى تمثل أمامي العمر الحقيقي للداعية عندما يتوارى جسده في التراب ويبدأ نهر الحسنات بالجريان ويصب ذلك كله في الميزان الذي يؤثر فيه مثقال الذرة فتكون الحسنات أنيساً في القبر وبشرى عند الوقوف أمام رب العالمين.

إن حياة الدعاة إلى الله تعالى من النعيم الذي ينعم به المؤمن عندما يضع الداعية خده في آخر يومه على وسادته ويختلط التعب والمشقة بنعيم العمل لله تعالى ويقوم من غده ويقطف الخيرات ويحصد الحسنات من جديد تلكم والله السعادة الحقيقة ومن علم سيرة خير البرية ﷺ استقر في قلبه برد اليقين بهذا العمل العظيم.

ومن أهم صفات الداعية إلى الله تعالى أن يكون قدوة حسنة في مجتمعه؛ لأن تأثير الدعوة بالأفعال كتأثير الدعوة بالأقوال، وأن يتحلى بمكارم الأخلاق، وفي هذا السياق أتذكر قصة دائماً أذكرها للأخوة أن أحد المشايخ الفضلاء ممن يعرف

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ١٢/ ١/ ١٤٣٤هـ.

بلين الجانب والابتسامة المشرقة -لمن يعرفه ولمن لا يعرفه -قابله أحد الشباب المقصرين، فبش الشيخ في وجهه واستقبله أحسن استقبال وأخذ معه أطراف الحديث، فتغيرت أحوال هذا الشاب وأصبح فيما بعد من الدعاة إلى الله تعالى.

ويكمن نجاح الداعية إلى الله تعالى في العلم الشرعي الذي به يحسن ما يدعو إليه وبالتربية الإيمانية التي تعين الداعية في يومه الدعوي وبأسلوبه وعرضه المناسب الذي يساهم في تحقيق الأهداف التي يحددها، وفي الدرجة الأولى إخلاص العمل لله تعالى ومتابعة رسول الله ﷺ.

ومحبة الناس وقبولهم للدعاة وغيرهم لا يملكهما البشر وإن حاول أحد تغييرها فليس له إلا أن يبوء بالحسرة والإثم، والداعية في الحقيقة لا يضره شيء لأنه سائر في طريق العزة ويترقى في منازل الكرامة وإن وجد ما يسره فتلك عاجل بشرى المؤمن ويكفيه في كل أحواله أنه يعمل بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وهذه المقدمة من صيد خاطري دونتها بعدما لهج لساني بالدعاء وغرقت عيناي بالدموع ولم أستطع التعبير عما يجول في خيالي ويلمسه فؤادي بسماعي خبر وفاة أخي وصديقي الداعية عبدالله بن ناصر الجميع -رحمه الله تعالى-.

إن وفاة هذا الداعية الشاب أحيا فيَّ وفي غيري أشياء كثيرة فلربما يستغرب البعض من صغر سنه الذي لم يتجاوز التاسعة والعشرين ولكن يزول هذا الاستغراب الطبيعي بمقولة الشيخ علي الطنطاوي -رحمه الله تعالى -: (لايقاس عمر الإنسان بطول السنين ولكن بعرض الأحداث) [1].

---

(١) انظر: صور وخواصر، ص١٦.

عرفت هذا البطل الهمام صغيراً وكبر في عيني بأفعاله سريعاً مع مرور الأيام والسنين وقد جعل له في أكثر ميادين الخير بصمة واضحة ومن اقترب منه لاحظ الجهد الذي كان يقدمه في مسابقته إلى الخيرات، وتوجت تلكم الجهود بأن ختم حياته في الدنيا -بتوفيق الله تعالى -بأن كرر كلمة التوحيد كثيراً حتى اختفى صوته وسبابته إلى السماء وبإشراقة وجه كل من رآه استبشر خيراً.

الصفحات الأخيرة من حياة هذا الداعية بدأت بعدما ختم برنامجه الدعوي في محافظة بيشة يوم الثلاثاء الماضي وخرج منها بعد صلاة العشاء قاصداً محافظة القويعية لإقامة برامج دعوية هناك وقدَّر الله – سبحانه تعالى – عليهم في الطريق بين المحافظتين أن تنحرف شاحنة في طريقهم وكلما أراد الابتعاد عنها تبعته الشاحنة، وهو لايزال يرفع صوته بقول: (لا إله إلا الله) حتى اختفى صوته تحتها وقبض الله – تعالى – روحه وصاحبه الذي معه، وأما صاحبه الثالث فقد كتب الله – تعالى– له النجاة بأن قفز من السيارة من قوة الحادث وأصيب بكسور وهو الآن في العناية المركزة.

انتشر خبر وفاته وأجمع أهله أمرهم بالإتيان به إلى محافظة الخرج ووصل جثمانه إلى مغسلة جامع الملك عبدالعزيز الساعة الواحدة ليلاً وقدمتُ ومعي مجموعة من الشباب للمغسلة وشاركنا في تكفينه وقد رأيته مبتسماً وعلى وجهه النور ورافعاً سبابته إلى السماء وقبَّلنا جبينه ودعونا له كثيراً وأصواتنا يخالطها البكاء وتركناه وخرجنا من المغسلة ونحن نحمد الله -تعالى -على قضائه وقدره.

وتوافد الناس على المغسلة للسلام عليه من الصباح الباكر إلى قبل صلاة الظهر وازدحم الناس في الجامع وصلى الكثير منهم في الخارج وأغلقت الشوارع

المحيطة بالجامع من شدة الزحام وبعد الصلاة عليه تبعه الناس إلى مقبرة الثليماء جنوب محافظة الخرج وجموع الناس تتبعه والتف أكثرهم حول قبره وبعد الفراغ من دفنه وقف أحبابه على قبره للدعاء له وارتفع صوت البكاء وخيم الحزن على الجميع وأقبل بعضهم على بعض لعزاء أقاربه وخرج الناس من المقبرة وبقي أخي الغالي الداعية عبدالله الجميع بين يدي رحمة الله تعالى.

ورجعت إلى منزلي داعياً الله تعالى له بالمغفرة والرحمة وبدأت استرجع شريط المشاهد التي عشتها مع هذا الصديق الوفي وكتبت بعض صفحات من حياته وتركت التفصيل والاستغراق في بعض الأحداث وغردت بها في حسابي على (تويتر) وبها أختم المقال والحمد لله رب العالمين.

١-يبلغ الداعية عبدالله بن ناصر الجميع من العمر تسعة وعشرين سنة وهو من مواليد قرية السلمية في محافظة الخرج.

٢-تخرج من كلية التربية من جامعة الملك سعود بالرياض وعمل مدرساً في محافظة بيشة وهو متزوج وله ابنتان عمر الصغيرة شهران تقريباً.

٣-كان إماماً لمسجد خالد القسري بمحافظة الخرج وعمره حينئذ سبعة عشر سنة وتكفل برعاية أخوته بعد وفاة والده أثناء عمله.

٤-فيصل أصغر أخوته يناديه (بابا) لأنه لم يدرك والده ومع انشغاله بالدراسة الجامعية ورعاية أهله ترك إمامة المسجد.

٥-مكث في الجامعة خمس سنوات تقريباً وكان يتردد بين الخرج والرياض من أجل رعاية أهله والدعوة إلى الله تعالى.

٦-يشهد له الشباب بنشاطه في الدعوة وجهوده في أنشطة الجامعة وحب الأساتذة له والاحترام المتبادل بينه وبين الطلاب.

٧-حدثني عندما كان في أمريكا مع بعثة طلاب الجامعة بانبهار بعض الناس بطوله الفارع وتسارع أكثرهم في التصوير معه.

٨-أنشأ في أيام دراسته الجامعية الجولات الدعوية في الخرج التي تقام كل يوم أربعاء وتُنقل في أماكن تجمعات الشباب.

٩-له جهود رائعة في الجولات الدعوية بدعم المحسنين وبشائر بقوافل التائبين في كل لقاء بإشرافه رحمه الله تعالى.

١٠- تولى المكتب التعاوني الإشراف على الجولات الدعوية بعد نجاحات رائعة منذ عشر سنوات ومستمرة ولله الحمد والفضل.

١١- أنشأ كذلك في أيام دراسته الجامعية اللقاءات الرمضانية الدعوية والرياضية المقامة بين الاستراحات الشبابية.

١٢- نهاية البرنامج الرمضاني المدعوم من المحسنين وتلقى المحاضرات وتوزع الجوائز ويذهبون ببعض الشباب لأداء العمرة.

١٣- يقدمون برامج دعوية في الطريق إلى مكة مما تسبب في هداية كثير من الشباب في الرحلة ثم يعودون للمشاركة في إقامة البرامج الجديدة.

١٤- تولى المكتب التعاوني الإشراف على اللقاءات الرمضانية بعد نجاحات رائعة منذ عشر سنوات ومستمرة ولله الحمد والفضل.

١٥- الكثير من الشباب الذين يقيمون البرامج الدعوية في الخرج الآن هم من الذين استقاموا على يديه رحمه الله تعالى.

١٦- أنشأ كذلك لقاءً دعوياً للصم والبكم وسعى في إيجاد بيئة مناسبة لهم وبعدها تولى الإشراف على البرامج الجهة المختصة.

١٧- قبل وفاته بسنتين أقام نادي شبابيات الصيفي الذي يقام في كل إجازة وفيه عدد من البرامج العلمية والدعوية والرياضية.

١٨- في نهاية برنامج النادي الصيفي يُكرَّم الفائزون في البرامج ويذهبون بمن قام بالبرنامج برحلة إلى الطائف وأبها.

١٩- نادي شبابيات تحت إشراف مركز الحي بوسط السيح التابع لإدارة التعليم وبرامجه مستمرة ولله الحمد والفضل.

٢٠- جهوده الدعوية في السجون واضحة ويعتبر مرشداً دينياً في سجون منطقة الرياض وبقية المناطق معروف عندهم بذلك.

٢١- ينسق مع المشايخ في السجن العام بالخرج للدعوة وإقامة الدورات العلمية ويحرص على تلبية طلبات السجناء ويشفع لهم.

٢٢- السجن العام بالخرج تغير للأفضل وتحسنت أوضاع السجناء والإدارة متعاونة جداً معه وأثمرت تلك الجهود المباركة.

٢٣- لايترك الفرصة تفوته بأن يبادر أو يوافق لمن ينسق معه في إلقاء الكلمات الوعظية في المساجد والمدارس.

٢٤- اتصل بي ليبشرني بصدور التصريح الرسمي من الوزارة في إلقاء المحاضرات وكانت خطوة في إلقاء المحاضرات في الجوامع.

٢٥- أسلوبه الدعوي كان مميزاً ولهذا حرصت المدارس والأندية الصيفية في التنسيق معه ولايتردد في الموافقة وتلبية الدعوة.

٢٦- يشهد له تواصله الاجتماعي بحضور مناسبات الأقارب وتلبية دعوة الأفراح وحضور العزاء وعيادة المرضى في أي مكان.

٢٧- سافرت معه للدعوة إلى الله تعالى في السعودية فوجدته شعلة من النشاط وقريباً من الشباب ومحترماً للعلماء وكبار السن.

٢٨- يحمل صفات الداعية الناجح وفي مقدمتها الهمة العالية والاستشارة والتخطيط للوصول للأهداف بأسهل طريقة.

٢٩- عُيِّن مدرساً في محافظة بيشة وانتقلت مشاريعه معه ليعيدها هناك مع إشرافه على الأعمال الدعوية في الخرج بالجوال.

٣٠- مشاريعه الدعوية في محافظة بيشة وما جاورها تحدث عن بعضها أخي الداعية غرم البيشي عبر تغريدات في حسابه على (تويتر).

٣١- حج بأمه حجة الإسلام الموسم الماضي في إحدى الحملات واستغل الوقت في زيارة الشباب والدعوة وإلقاء الكلمات.

٣٢- اقترض مبلغاً من المال ليكون سبباً في حج خمسة أشخاص لايعرفهم وقد قابلهم بعد كلمة ألقاها في مسجد بإحدى قرى منطقة الجنوب.

٣٣- ساهم في حج مجموعة كبيرة من شباب الصم والبكم في محافظة بيشة بعدما سعى في توفير الدعم من مؤسسة خيرية.

٣٤- كان سمحاً مع كل من يقترض منه ووقعت قصص في هذا الموضوع تدل على حبه للخير وسلامة صدره ودماثة أخلاقه.

٣٥- كان محباً للدعوة وخُتم له بذلك فقد خرج من بيشة بعد البرامج الدعوية قاصداً القويعية للدعوة إلى الله تعالى فمات بينهما.

٣٦- ردد كثيراً كلمة التوحيد حتى اختفى صوته أثناء الحادث وشاهدت بعد تغسيله سبابته وقد أشار بها إلى السماء ووجهه جميل ومشرق.

٣٧- من علامات حسن الخاتمة والقبول حضور أعداد كبيرة من الناس في جامع الملك عبدالعزيز للصلاة عليه ودفنه في مقبرة الثليماء.

٣٨- هذه بعض صفحات من حياة الداعية عبدالله الجميع وصدق القائل: (لايقاس عمر الإنسان بطول السنين ولكن بعرض الأحداث).

٣٩- إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا على فراقك أخي الغالي أبا ناصر لمحزونون ولا نقول إلا ما يرضي ربنا.

٤٠- أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يثبت أخي الغالي عبدالله الجميع ويغفر له ويرحمه وأن يجعل قراره الفردوس الأعلى.

الكـــنز العظـــــيم [١]

كنتُ قبل فترة في عيادة أحد المشايخ الفضلاء بعدما أجرى عملية جراحية ومكث بعدها أياماً على فراشه في منزله يستقبل الناس بحفاوة وبشاشة وجه وكلام طيب ويتحدث غالباً بعدما يجلس الزائرون في مجلسه عن تفسير كتاب الله - تعالى - وعن نعمة الصحة والعافية، وفي إحدى الزيارات تحدث عن الصبر وفضائله فتغيرت نبرة صوته وامتلأت بالحزن وتحدث بأسلوب وعظي مؤثر وذكر أن الكلمات والمحاضرات التي ألقيتها واستمعت إليها عن الصبر عند الابتلاء تمثلت أمامي عندما كنت أعاني الآلام قبل وبعد إجراء العملية الجراحية، ثم ختم موعظته البليغة التي ذرفت منها الدموع ووجلت منها القلوب بالحمد والشكر لله - تعالى -.

وهذا الموقف وما شابهه لا يفارقني عندما تتكرر الصورة أمامي أو أعيش أحداثها بنفسي كلما مررت بآية أو بحديث نبوي أو بكلام للسلف الصالح، وما لفت انتباهي أثناء قراءتي أن الصبر ذكر في القرآن الكريم في نحو تسعين موضعاً وذُكر في السنة النبوية في مواضع كثيرة لا يعلمها إلا من يعلم السِّر وأخفى وذلك لشرف مكانه ولأهميته وحاجة الناس إليه.

وما أجمل النداء من الرحمن الرحيم -سبحانه وتعالى -الذي ينادي به أهل الإيمان بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ٩/ ٤/ ١٤٣٤هـ.

تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ووعد الصابرين بالفضل العظيم بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٥]، وجعل ملائكته الكرام يستقبلون الصابرين بالتحية والسلام بقوله: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤].

فمنزلة الصبر في الدين بمكان الرأس من البدن فلا إيمان لمن لا صبر له، ومن يتصبَّر يُصبِّره الله، وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر، وقد جاء في الحديث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده -رضي الله تعالى عنهم أجمعين- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا جمع اللهُ الخلائق نادى منادٍ: أين أهل الصبر؟ قال: فيقوم ناسٌ وهم يسير فينطلقون سِراعاً إلى الجنة فيلقاهم الملائكة فيقولون: إنا نراكم سِراعاً إلى الجنة فمن أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر فيقولون: وما كان صبركم؟ فيقولون: كنا نصبر على طاعة الله وكنا نصبر عن معاصي الله فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجرُ العاملين**» (١).

وتأمل في هذا الحديث العظيم فعن أبي ثعلبة الخشني -رضي الله تعالى عنه- أن النبي ﷺ عندما ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال: «**فإن من ورائكم أيام الصبر فيه مثل القبض على الجمر للعامل فيهم أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله**» قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم قال: «**أجر خمسين منكم**» (٢).

---

(١) انظر: الصبر والثواب عليه، ابن أبي الدنيا، ١/ ٦.

(٢) رواه الترمذي، رقم الحديث (٢٩٨٤)، وصححه الألباني.

وجاء في الخبر كما صح عن سيِّد البشر ﷺ بقوله: «**الصبر ضياء**» [(١)]، وهذا التشبيه البليغ جعل الصبر كالسِّراج يحترق من داخله ويضيء من خارجه، والصبر في حقيقته كالدواء لكل داء، والعلاج طعمهُ لا يُقبل ولكن نهايته شفاء بإذن الله تعالى.

وخرجت أقوال السلف الصالح من مشكاة النبوة كقول عبدالله بن مسعود - رضي الله تعالى عنه -: (الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر)[(٢)]، وقول سفيان الثوري - رحمه الله تعالى -: (يحتاج المؤمن إلى الصبر كما يحتاج إلى الطعام والشراب)[(٣)]، وقول سليمان بن القاسم - رحمه الله تعالى -: (كلُّ عمل يُعرف ثوابه إلا الصبر: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠] فقال: كالماء المنهمر)[(٤)]، وكان صالح المرِّي - رحمه الله تعالى- يقول: (اللهم ارزقنا صبراً على طاعتك، وارزقنا صبراً عن معصيتك، وارزقنا صبراً على ما نكره، وارزقنا صبراً عند عزائم الأمور) [(٥)].

والمؤمن مع القضاء والقدر ليس له إلا الإيمان والراحة والاطمئنان والأمن في الدنيا والآخرة ومصداق هذا قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١١]، وقوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ

(١) رواه النسائي، رقم الحديث (٢٤٣٧)، وصححه الألباني.
(٢) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن القيم، ١/ ٨٨.
(٣) انظر: الصبر والثواب عليه، ابن أبي الدنيا، ١/ ٨٧.
(٤) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن القيم، ١/ ٥٨.
(٥) انظر: حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني، ٣/ ٣٧.

يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

وتقاس قوة الإيمان في القلب عند حلول المصيبة فقد جاء في الحديث عن أنس بن مالك -رضي الله تعالى عنه -قال: مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال لها: «**اتقي الله واصبري**» قالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي فقيل لها: إنه النبي ﷺ فأتت إليه فقالت: لم أعرفك فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» (١).

ونصيحتي إلى كل مهموم ومغموم ومُبتلاً في دينه ودنياه أن يتذكر الحديث العظيم الذي هو في الحقيقة عزاء لأهل البلاء فعن عبدالله بن عباس -رضي الله تعالى عنهما -أن النبي ﷺ قال: «**إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي فإنها من أعظم المصائب**» (٢).

والمصائب والبلايا تحل على الناس -خاصة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام -ليمحص الله -تعالى -إيمانهم فعن سعد بن أبي وقاص -رضي الله تعالى عنه -قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: «**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل الرجلُ على حسب دينه فإن كان في دينه صُلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**» (٣).

---

(١) رواه البخاري، رقم الحديث (١٢٠٣)، باب: (زيارة القبور).

(٢) رواه الدارمي في سننه، رقم الحديث (٨٦)، باب: (وفاة النبي ﷺ).

(٣) رواه الترمذي، رقم الحديث (٢٣٩٨)، قال الألباني: (الحديث حسن صحيح).

إذاً البلايا على مقادير الرجال، ومن تأمل أحوال الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام -وشدة ما مرَّ بهم من بلاء ازداد يقيناً وإيماناً.

فهذا نوح -عليه السلام -ابتلي بابن كافر وزوجة كافرة وابتلي بقوم في غاية الكفر معاندين ومستهزئين وساخرين يدعوهم نوح -عليه السلام -ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً وما آمن معه إلا قليل في دعوة بلغت ألف سنة إلا خمسين عاماً.

وهذا إبراهيم -عليه السلام -أُمر بذبح ولده وفلذة كبده بعدما كبُر سنه وشاب شعر رأسه ودق ظهره فأجاب أمر خالقه ففداه ربه بذبح عظيم.

وهذا يعقوب -عليه السلام -ابتلي بفقد ابنه يوسف -عليه السلام -الذي امتلأ قلبه حباً له فعندما طال الفراق بينهما قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨].

وهذا يوسف -عليه السلام -أُلقي في الجب وهو صغير وبيع كبيع الرقيق بثمن بخس بدراهم معدودة وابتلي بامرأة العزيز وسُجن فلبث في السجن بضع سنين وخرج فأصبح أميناً على خزائن الأرض وجاءه أهله من فلسطين.

وهذا أيوب -عليه السلام -ابتلي بفقد ماله وأولاده وأصحابه ثم ابتلي بفقد العافية في بدنه حتى تضرع إلى ربه فأجاب دعاءه فقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وهذا يونس -عليه السلام- دعا قومه وخالفوه وعاندوه فركب البحر غضبان فمضى قدر الله -تعالى -فوقعت القرعة عليه ورمى بنفسه فالتقمه الحوت فأصبح في ثلاث ظلمات فنادى رب الأرض والسموات فنجّاه ونبذه على الشاطئ بعدما قال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وهذا خير الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله ﷺ إمام المتقين والصابرين نُشهد الله أنه بلغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في سبيله حق جهاده وتركنا على محجَّة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها والله إلا هالك فكم لقي من الأذى، وكم لقي من الاستهزاء، وكم لقي من السخرية، وكم لقي من شتى صنوف الأذية، فصبر فكان إمام الصابرين ولنا فيه قدوة حسنة فأعطاه ربه -سبحانه وتعالى - على جهده وجهاده ودعوته وطاعته فقرَّبه منه وأعطاه الحوض والمقام المحمود والشفاعة ورفع ذكره وشرح صدره ووضع عنه وزره وقطع شأن من نال منه في حياته وبعد مماته.

وهذا ينبغي على كل مكلف أن يبحث عن هذا الكنز العظيم ويأخذ منه مقدار ما يمتلأ قلبه من الإيمان ويتذكر دائماً الخطاب من الله -تعالى- لكل مبتلى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

فاللهم اجعلنا من الصابرين ومن الشاكرين ومن أصحاب جنتك جنة النعيم يا رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❁ ❁ ❁

مشاهـــد وأهـــوال[١]

المتدبر في سورة التكوير يجد أن هناك ثمة مشاهد وأهوال لا تفارق ورقة المصحف مع دمعات تطهر القلب وإيمان يزداد ونعيم للروح، والموفق مَنْ اهتم مع تدبره بما يعينه على فهم الآيات، وفي سياق كلامنا عن سورة التكوير يتضح لمن قرأ تفسيرها حديث عبدالله بن عمر -رضي الله تعالى عنهما-قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة فلْيقرأ:** ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]»[٢].

ومن اليقين عند كل مؤمن أن الله -تعالى -يوم القيامة يعيد خلق العباد ويبعثهم ويوقفهم بين يديه -تبارك وتعالى -ويحاسبهم على ما قدموه في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وهذا الحدث العظيم يتقدمه تغيرات كونية منها عندما تتغير الأرض غير الأرض والسموات، وتصاب الأرض بالزلازل وتندك، وتتشقق السماء وتمور، وتُسيَّر الجبال وتُنسف، وتُفجّر البحار وتُسجَّر، وتكوَّر الشمس، ويُخسف القمر، وتنكدر النجوم ويذهب ضوؤها وينفرط عقدها، وغيرها من الأهوال والمشاهد العظيمة.

ذلك اليوم يشهده الأولون والآخرون ويحشر فيه الملوك والفقراء وغيرهم حُفاة عُراة غُرلاً بُهماً، لا ينفعهم مالهم ولا جاههم ولا سلطانهم وتستوي الخلائق

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ١٣/ ٥/ ١٤٣٤هـ.

(٢) رواه الترمذي، رقم الحديث (٣٣٣٣)، وصححه الألباني.

وكلهم عبادٌ لله - جلا وعلا -: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣]، وعن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن النبي ﷺ قال: «**يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حُفاة عُراة غُرلاً**» ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، فقالت عائشة يا رسول الله النساء والرجال، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم بعضاً**»(١).

وتدنو الشمس على أهل المحشر بمقدار ميل كما قال رسول الله ﷺ: «**تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل**» (٢)، قال التابعي سُليم بن عامر -رحمه الله تعالى -: «**فوالله ما أدري ما يعني بالميل أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين**» (٣)، وقال رسول الله ﷺ: «**فيكون الناس على قدر أعمالهم من العرق، فمنهم ما يكون إلى كعبيه، ومنهم ما يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً**»، وفي رواية أن النبي ﷺ أشار بيده إلى فيه (٤).

وفي هذا المشهد أناس -نسأل الله تعالى أن نكون جميعاً منهم -تحت ظل عرش الرحمن وهم من أطاعوه في السرِّ والعلانية حيث جاءت بعض صفاتهم كما في حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى - قال: قال رسول الله ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه**

---

(١) رواه مسلم، رقم الحديث (٥١٠٤)، باب: (فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة).

(٢) رواه مسلم، رقم الحديث (٥١٠٨)، باب: (صفة يوم القيامة).

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بيمينه فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» (١).

وفي مشهد آخر من هذه المشاهد يبدأ الحساب والجزاء بالعدل كما قال تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٦٩] فلا تخفى صغيرةٌ ولا كبيرةٌ إلا أحصاها الله – عز وجل – ويحاسب عليها العبد، وقد سُئل علي بن أبي طالب – رضي الله تعالى عنه – كيف يحاسب الله –تعالى – العباد يوم القيامة في يوم واحد؟ فقال: (كما يرزقهم في يوم) (٢).

وأول ما يحاسب به العبد فريضة الصلاة كما قال رسول الله ﷺ: «**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر**» (٣).

ويُسأل ابن آدم عن أمور مهمة في حياته كما جاء في حديث أبي برزة –رضي الله تعالى عنه –قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله فيما اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه فيما عمله به**» (٤).

---

(١) رواه البخاري، رقم الحديث (١٣٣٤)، باب: (الصدقة باليمين).

(٢) انظر: تفسير القرطبي، سورة البقرة، آية (٢٠٢).

(٣) رواه الترمذي، رقم الحديث (٤١٣)، وصححه الألباني.

(٤) رواه الترمذي، رقم الحديث (٢٤١٦)، وحسنه الألباني.

والمشاهد العظيمة يصعب وصفها ويعجز حصرها وتبقى الحقيقة أن الدنيا فانية زائلة منتهية لا محالة وتبدأ الرحلة الحقيقية إلى حياة الآخرة من الموت ثم القبر ثم البعث ثم الحشر ثم العرض والحساب ثم الميزان ثم صحائف الأعمال ثم الصراط ثم الحوض ثم القنطرة ثم الجنة أو النار ثم الشفاعة ولكن من أطاع الله ورسوله ﷺ فإن له الفوز بجنات النعيم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٩ - ٧٠].

نسأل الله العلي القدير أن يأمِّنا يوم الفزع الأكبر ويجعلنا من الآمنين، ويظلنا في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ويرزقنا الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بالله من النار وما قرب إليها من قول وعمل، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التنويريون في السعودية بين الوهم والحقيقة [١]

التنوير مصطلح يطلق في الفكر الغربي على مجموعة من الكتابات التي ظهرت في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي على أيدي الفلاسفة والمفكرين من فرنسا وانتشر الفكر تدريجياً بعد ذلك في أوروبا واختلفت قوة وجوده في كل دولة بحسب المؤثرات والواقع.

ونستطيع أن نجمع منطلقات التنوير الغربي تحت منطلق العقلانية وإخضاع كل الموجودات والغيبيات تحت نطاق العقل البشري في القبول والرفض، وقد تبين هذا كله في كلام الفيلسوف كانط عن التنوير في حواره مع إحدى الصحف الألمانية بقوله: (التنوير هو خروج الإنسان من قصوره الذي يرجع الذنب فيه إليه، وهذا القصور هو عدم المقدرة على استخدام العقل إلا بتوجيه من إنسان آخر، والذنب في هذا القصور يرجع إلى صاحبه، إذ لم يكن سببه هو نقص في العقل، بل كان نقصاً فيما ينبغي من عزم وشجاعة لاستخدام العقل دونما توجيه من إنسان آخر. لتكن لديك الشجاعة لتستخدم عقلك هذا هو شعار التنوير، وإن الكسل والجبن هما السببان اللذان يرجع إليهما رضاء نسبة كبيرة من الناس بالقصور طوال حياتهم بعد أن خلصتهم الطبيعة من توجيه الآخرين. وهما كذلك السببان اللذان يرجع إليهما سهولة استئثار الآخرين بالوصاية عليهم، وإن في

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ١٧/ ٦/ ١٤٣٤هـ.

القصور لراحة، فهناك الكتاب الذي له في نظري العقل والكاهن الذي له في نظري الضمير والذي يقرر لي ما أتناوله، وهكذا فليست بي حاجة لأن أجهد نفسي، لست بحاجة إلى التفكير ما دام يمكنني الدفع، وهناك من يقومون من أجلي بهذه المهمة الثقيلة وليس هناك شيء يتطلبه التنوير قدر ما يتطلب حرية الاستخدام العلني للعقل في كل الأمور).

وإذا أردنا أن نحدد الأسباب التي دعت إلى خروج هذا الفكر في الغرب نجدها كثيرة ومتقاربة في أكثرها ولعل جامعها أنها ردود أفعال من الحكومات المستبدة والكنائس القامعة -لكل من يخالفها -باسم الدين -المحرف -التي واجهت بقوة الفكر المعتمد على العقل والمتحرر من كل القيود على مستوى الأفراد والمجتمعات والحكومات.

وأظهر الفكر التنويري عداءه الواضح على كل من يخالفه وخاصة على الدين -المسيحي المحرف -وأصبح كل من دعا إلى التنوير في زمن الحكومات المستبدة والكنائس القامعة في أوروبا يتشرب أيدلوجيات الفلاسفة والمفكرين عبر كل وسائلهم وقنواتهم المتنوعة المتاحة التي ساهمت في إيصال مبتغاهم وتحقيق أهدافهم بصورة كبيرة.

ومن المعلوم أن من طرق انتقال الأفكار المستوردة من أوروبا إلى العالم الإسلامي جاءت عبر احتكاك الأوربيين بالمسلمين من خلال البعثات الطلابية إلى المدن الكبرى في العالم العربي، وأهمها جاء من خلال الحملة الفرنسية على مصر في عام (١٧٩٨م) من جهة الخصوص، ومن جهة العموم الاستعمار الذي لم تسلم منه غالب البلاد العربية بعد سقوط الدولة العثمانية، وبعد خروجهم تركوا

حلفاءهم يقومون بعملهم وينشرون أفكارهم، وزاد تركيز الغرب على الخطط الاستراتيجية بعد التحديد الجغرافي لكل دولة وأصبحت كل واحدة منعزلة عن الأخرى وخاصة في المجال السياسي والاقتصادي وتصارعت الأفكار والقيم المستوردة في داخل مجتمعاتها وبمتابعة أسيادهم من خارجها.

وفي سياق عرض انتقال الأفكار المستورة من أوروبا إلى العالم الإسلامي استوقفتني كلمات في غاية الدقة من الدكتور مسفر بن علي القحطاني في مقاله: (التنويريون السعوديون: قراءة هادئة وسط الضجيج) حيث قال: (امتد الأثر الفكري للثورة الفرنسية مع امتدادها العسكري وكذلك من خلال الاتصال الغربي بالمشرق الإسلامي وقد أوجد هذا الاتصال الثقافي ذو النزعة الطوباوية إلى تأثر بعض المثقفين المسلمين بمبادئ التنوير الفلسفي والعقلاني كالطهطاوي والأفغاني وخير الدين التونسي والكواكبي وغيرهم، وانتشرت مؤلفاتهم وأفكارهم الإصلاحية في عموم البلاد الإسلامية حتى جاء الجيل الأكثر وعياً بالفكر التنويري الغربي كزكي نجيب محمود و العشماوي وحسن حنفي وجمال البنا والجابري وأركون فحاولوا تأطير الفكر والمزاوجة بينه وبين الفلسفة الإسلامية بنفض الغبار عن فكر ابن رشد وابن سيناء والفارابي وعموم الفكر الاعتزالي والباطني مما ولَّد أجنة مشوهة بقيت حبيسة أسوار " المدينة الفاضلة " ولا أدري عن مدى صمودها لتغيرات العصر وتحدياته القادمة إذا تجسدت في أرض الواقع !!».

وهناك قواسم مشتركة بين فكر التنوير الغربي وفكر التنوير الإسلامي إذ تكمن في تشابه الأسماء والمصطلحات وتختلف في بعض المفاهيم والمنطلقات لأن

التنوير الأوروبي جاء بشكل واضح عن طريق ردود الأفعال لقمع سدنة الكنيسة لكل من تجاوز سياستها بسيطرتها على عقول الناس بتحجيم أفكارهم في قوالب أراء قساوستها وتوعدوا كل من خالفهم بالتعذيب تارة وبالقتل تارة أخرى أمام الناس واستمدوا أفعالهم من دينهم - المحرف - واعتبروا مخالفتهم لاتجوز مع رفع الشعارات على أن منطلق فعلهم من الدين الكنسي - المسيحية المحرفة - وهذا المنطلق لايقع في عالمنا الإسلامي لأن الإسلام ليس كالكنيسة والحضارة الإسلامية ليست كالحضارة الغربية والإسلام لايحارب العلم والعقل وهذه هي الحقيقة ولكن مازال بعض دعاة التنوير في العالم الإسلامي يحاولون أن يكونوا على خطى التنوير الغربي بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

واختلف الباحثون والمؤرخون حول تسمية هذا الاتجاه الفكري، فقد أُطلق عليه مصطلحات عدة مثل: (الاتجاه العصراني) أو (الاتجاه العقلاني) أو (التنوير الإسلامي)، ويطلق عليه مؤخراً مصطلح (الإسلاميون الجدد) وقد بيَّن هذا الأمر الدكتور وليد الهويريني في كتابه: (عصر الإسلاميين الجدد).

واتجاه التنوير العربي في واقعنا المعاصر اتجاه فكري إسلامي -في الجملة - حيث يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية والفكر الغربي المعاصر، متبنياً منهجاً عقلانياً، ويعلي من مكانة العقل في مقابل النص الشرعي، ويؤول النص إن أمكنه، أو يرده بتعليلات عقلية إن لم يمكنه ذلك، وموقفه من النص الشرعي يكون بتقديم العقل -في الجملة- عند توهم التعارض، ويدعو إلى التجديد والنظر في الأحكام الشرعية حسب مقتضيات العصر الحديث، ولايعتمد على سلف الأمة -رحمهم الله تعالى- في فهم الكتاب والسنة، وأصحاب

هذا الاتجاه هم ممن يتبنون المرجعية الإسلامية في الجملة، يقول الشيخ أحمد سالم في هذا السياق: (المحدد الذي على أساسه نفصل بين التنوير الإسلامي وبين مذاهب الفقهاء السائغة، أن رجال هذا التيار قاموا بعملية مواءمة وتوفيق بين مفاهيم التنوير الغربي العلماني وبين نصوص الوحي والشريعة، وأنهم في عملية التوفيق هذه أضاعوا قطعيات من الشريعة وخالفوها ؛ إما بقبول باطل، وإما برد حق، فكانت مخالفة القطعي، بقبول ما هو باطل من المفاهيم الغربية، أو برد ما هو ثابت قطعي من الدين ؛ هي الموجب لتصنيفهم على الصورة السابق ذكرها).

وإذا أردنا تحديد بداية ظهور الاتجاه التنويري في العالم الإسلامي فيمكن أن يقال منذ قرنين تقريباً، في الفترة التي ظهرت فيها دعوة الشيخ محمد عبده - المؤسس الأول للاتجاه العقلي في العصور المتأخرة - وقد رفعت دعوته شعار التجديد في الدين، ومارست أسلوب تقريب أحكام الإسلام من المدنية الغربية، وخاضت غمار التأويل في كثير من نواحي الدين وهي التي جعلت الاقتداء بالغرب وحضارته الفكرية والمادية منطلقاً في محاولتهم التغيير والنهوض بأوطانهم وشعوبهم، وتجاهلت الإسلام بالكلية ويتضح هذا المنهج في كلام طه حسين حينما قال: (إن سبيل النهضة واضحة بيِّنة مستقيمة، ليس فيها عوج ولا التواء، وهي واحدة فذة ليس لها تعدد، وهي: أن نسير سيرة الأوروبيين، ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، وحلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب).

وتعود جميع أسباب الانزلاق نحو الاتجاه التنويري إلى ضعف التسليم لله -تعالى- ولرسوله ﷺ، ثم الانبهار بالثقافة والحضارة الغربية، وقد وصف الأستاذ

سيد قطب -رحمه الله تعالى- ما حصل من انبهار بالثقافة الأجنبية آنذاك مع إعراض المسلمين عن المنهج الرباني، وكيف تتكرر المأساة اليوم، فيقول: (لقد وقع في طور من أطوار التاريخ الإسلامي أن احتكت الحياة الإسلامية الأصلية المنبثقة من التصور الإسلامي الصحيح بألوان الحياة الأخرى التي وجدها الإسلام في البلاد المفتوحة، وفيما وراءها كذلك، ثم بالثقافات السائدة في تلك البلاد، واشتغل الناس في الرقعة الإسلامية، وقد خلت حياتهم من هموم الجهاد واستسلموا لموجات الرخاء، اشتغل الناس بالفلسفة الإغريقية وبالمباحث اللاهوتية التي تجمعت حول المسيحية، والتي ترجمت إلى اللغة العربية، ونشأت عن هذا الاشتغال الذي لا يخلو من طابع الترف العقلي - في عهد العباسيين وفي الأندلس أيضاً - انحرافات واتجاهات غريبة على التصور الإسلامي الأصيل، كذلك وجد بين المفكرين المسلمين مَنْ فُتن بالفلسفة الإغريقية، وبخاصة شروح فلسفة أرسطو، أو المعلم الأول - كما كانوا يسمونه -، وبالمباحث اللاهوتية الميتافيزيقية، وظنوا أن الفكر الإسلامي لا يستكمل مظاهر نضوجه واكتماله أو مظاهر أبهته وعظمته إلا إذا ارتدى هذا الزي، زي التفلسف والفلسفة وكانت له فيه مؤلفات، وكما يفتن منا اليوم ناس بأزياء التفكير الغريبة . فكذلك كانت فتنتهم بتلك الأزياء وقتها).

ويمكن أن نحدد -بدقة -عوامل ظهور التنوير في العالم الإسلامي كما ذكر ذلك الشيخ عبدالوهاب آل غظيف في كتابه: (التنوير الإسلامي في المشهد السعودي) إلى عاملين مهمين:

الأول: الانبهار بالحضارة الغربية والاستسلام لضغط مفاهيمها والنهل من معين الفكر الغربي إما مباشرة وإما عبر وسائط عربية.

الثاني: قلة المحصول المعرفي من كلام السلف في بيان القرآن والسنة وحقائق الإسلام، وقلة مطالعة كتب أهل العلم في العقائد والفروع، ولاشك أن ذلك يورث التغرب، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى -: (ومن أدمن على أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم، لايبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع، ومن أدمن قصص الملوك وسيرهم؛ لايبقى لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام، ونظير هذا كثير).

وتزايد الاتجاه التنويري في العالم العربي تدريجياً واختلف المنتسبون له في قربهم من الدين الإسلامي وبعدهم منه حتى وصل الأمر ببعضهم إلى وقوعهم في مستنقعات العلمانية والليبرالية بالصراحة تارة وبلبوس الإسلام تارة أخرى بحسب ما تقتضيه الطبيعة الاجتماعية والسياسية، **وأوضح الشيخ عبدالوهاب آل غظيف في كتابه: (التنوير الإسلامي في المشهد السعودي) أن مسالك التنوير في العالم الإسلامي تنقسم إلى مسلكين:**

الأول: مسلك صارخ في أن نبذ الدين هو الحل النهضوي، وكان لهذا المسلك انعكاسان: أحدهما سياسي والأخر ثقافي، فالجانب السياسي مثلته أنظمة ديكتاتورية؛ كنظام أتاتورك وأبو رقيبة وعبدالناصر وأحزاب البعث وغيرهم، والجانب الفكري مثله بعض دعاة التغريب كطه حسين ومحمد أركون وصادق جلال العظم ونصر حامد أبو زيد وسواهم.

الثاني: الاتجاه الذي يظهر أصحابه التسليم للمرجعية الإسلامية، لكنهم يمارسون تطويع أحكام الشريعة والنصوص ذات الدلالة القطعية بما يتوافق مع الثقافة الغربية المسيطرة، وربما يذيب التمييز الإسلامي الشكلي والضمني عن

الأمم الكافرة، ويتجلى ذلك التطويع بصورة أكبر في القضايا السياسية والاجتماعية؛ كنظم الحكم وغايته وشرائع الحدود والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقضايا المرأة والعلاقة مع الكافر والمبتدع والولاء والبراء، وأورثت عملية التطويع هذه حاجة إلى التخفف من قيود المنهج الشرعي فطالت التحريفات قضايا منهجية أيضاً، وكانت المبررات لهذه التنصلات محشودة تحت لوافت من قبيل الاستنارة ومواكبة العصر والنهوض والتجديد.

وننتقل إلى بدايات ظهور الاتجاه العقلاني في السعودية -التنوير الإسلامي- الذي بدأ بشكل سريع بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر باستغلال الحدث في الظهور الإعلامي وعرف في خضم الأحداث بانتقاداته للجماعات الإسلامية وتيارات العنف والتطرف ومسبباته برؤية شرعية، وأظهر روح التسامح والتعايش والألفة مع الغرب وألبسها من الشريعة الإسلامية وتزايدت أطروحاته التي تنادي بمراجعة التراث وتجديد الخطاب الديني وإشكالات النهضة والتنمية، وظهور هذا التيار في وقت تسارع الأحداث بيَّن عدم وضوح المنهجية التي يسير عليها المنتمي إليه ومن الطبيعي أن يتمايز بعضهم بعد فترة من الزمن ويختلف تصنيفهم فأصبح التيار على قسمين:

الأول: بقي على انتمائه الإسلامي مع إصراره على العملية التحديثية للتراث الإسلامي والنقد لرموز السلفية والحركات الإسلامية بشكل عام والمنهج السلفي بشكل خاص، ويمثل هذا التيار على سبيل المثال: (محمد الأحمري وسليمان الضحيان وعبدالعزيز القاسم وعبدالعزيز الخضر ونواف القديمي ومحمد العبدالكريم وعبدالله المالكي).

الثاني: ترك الفكر الإسلامي إلى الفكر الليبرالي وأصبح ناقداً -بجرأة -على للتراث الإسلامي من جهة وللإسلاميين من جهة أخرى حتى وصل الأمر بأكثرهم إلى نقد ثوابت الدين، ويمثل هذا التيار على سبيل المثال: (منصور النقيدان ومشاري الذايدي وعبدالله بن بجاد ومحمد المحمود وإبراهيم البليهي ويوسف أبا الخيل ووائل القاسم).

وأصبح من الواضحات أن الفكر التنويري منطقة بين الإسلام والعلمانية، وحول هذه الحقيقة كان مدخل الشيخ عبدالوهاب آل غظيف في مقاله: (الإسلامي حين يؤسس للعلمانية) بقوله: (كان البعض يقول عن التنوير: إنه جسر بين الإسلامية والعلمانية، يصف بذلك الحالة التلفيقية بينهما التي هي عماده وقوامه، بيد أن ثمة (صقور) في الحالة التنويرية لم ترتضِ لنفسها أن تكون جسراً، في ذات الوقت ليست مستعدة للرجوع إلى الحضن الإسلامي الذي ما فتئت تخدشه وتكلبه في تحامل ملفت، فتَحَدَّد مكانها في أطروحات علمانية كالحة ليس شيء – سوى الورع البارد – يمنع من تصنيفها كذلك!!).

ومنطلق التيار التنويري في السعودية حدده الأستاذ نواف القديمي بقوله: (تيارنا يقوم على نقد التيار السلفي، وتفكيك بنيته التقليدية، ومنظومته في التفكير، والتعامل لتجاوز التأزمات التي أنتجها في المجتمع، والتي أسهمت في إعاقة مشروعات النهضة والتطور الحضاري. إذن هو تيار فكري ثقافي أكثر منه سياسي ؛ لذلك فهو- إلى الآن – غيرُ معنيٍّ بشكلٍ مباشر بالإصلاح السياسي بقدر عنايته بالإصلاح الثقافي، لذا لا توجد له مشكلة مع السلطة السياسية)، وهذا التصريح يبيَّن الكثير من منطلقات التيار التنويري في السعودية.

ومن المناسب أن أذكر كلام الشيخ وليد الهويريني في هذا السياق عندما بيَّن الأزمة التي يعيشها التيار التنويري والاضطرابات المنهجية التي انطلقت فقال: (التيار التنويري قدم نفسه كتيار هدم للتيار السلفي لا تيار بناء ومشاركة مع الطيف السلفي للإصلاح ... لقد كان من المفترض لتيار أن يرفع راية الإصلاح والتنوير وأن يقدم رؤيته الخاصة دون أن يجعل أحد دعائمه ضرب وتفكيك التيار السلفي والذي يعد المكون الأكبر للبلاد بشهادة صناديق انتخابات البلدية، كما أن هذا يتنافى مع حديث الإخوة التنويريين بأنهم أبناء للحالة الإسلامية).

ويتفنن التنويريون بسبك العبارات في نقد المنهج السلفي والسلفيين كقول الأستاذ عبدالله بن سلمان العودة: (ظاهرة التنويريين أو الإصلاحيين تكثفت بعد أن اجتمع الهاربون من جحيم التبديع السلفي أو التصنيف الصحوي إلى جزيرة التنوير .. فكانت تلك الجزيرة محل تجمع الصحويين المغادرين والحركيين المستقيلين والسلفيين الذي أحرقوا سفن العودة).

ويسعى التنويريون بكل وسائلهم إلى تكثير سوادهم بإقناع الكثير من الشباب - خاصة خريجي الجامعات - بغفلة الخطاب الشرعي الذي يمثله العلماء - الرسميين والمستقلين - ورموز الصحوة من المشايخ وطلبة العلم عن قضايا الواقع والسياسة ومشكلات الاقتصاد والحريات الشخصية والشباب وإبطال الاستبداد والنهوض بالأمة ويسعون كذلك لإلصاق التهم جزافاً وتشويه المتدين المحافظ ووصفه بالتشدد والانغلاق وتقديم نموذج عصري للمتدين الحقيقي عبر كتبهم - المدعومة - في المعارض الدولية للكتاب بطباعة مؤسسة الشبكة العربية للأبحاث والنشر، وعبر ملتقاهم - المشبوه - المعروف بملتقى النهضة،

وعبر موقع المقال الإلكتروني، وفي هذا السياق يوضح الأستاذ نواف القديمي نوافذ التيار التنويري على المجتمع السعودي بقوله: (يعتمد التيار بشكل مباشر على الإعلام والنشر والحضور في الصحافة والإنترنت والفضائيات، كما أن هناك مشروعاً لإنشاء مجلة تسمى: «التنوير الإسلامي» قد تشكل إضافة لهذا الاتجاه).

والمتابع يجد أن التنويريين - منذ بداياتهم - وهم مشغولون بنقد المنهج السلفي وتفكيك بنيته الفكرية وإسقاط رموزه ومؤسساته، وزاد على هذا تقديمهم لأطروحات فكرية في قضايا الحريات والديمقراطية والموقف من الآخر متقاربة بشكل كبير من الرؤية العلمانية، والعجيب أنهم نسبوا أكثرها للإسلام وبعضها سلطوا عليها أفهامهم الجديدة وحاولوا أن تكون عليها صبغة شرعية وحاولوا في خضم هذا الانشغال نقد الحركات الإسلامية واتهامها في مقاصدها بتسييس الدين لصالحها ووصفها بالانتهازية وربطها أحيانا بالعمالة لدول أجنبية.

والملاحظ أن أطروحات التيار التنويري السعودي غير ناضجة وتفتقر للمنهجية الواضحة نتيجة حداثته مما أوقع بعض المنتسبين إليه في صدامات حادة مع المجتمع المحافظ، بالإضافة إلى احتكاك بين أفراد التيار ذاته من الداخل والذي يظهر على السطح - أحياناً -.

وأصبحت من العلامات الواضحة للتيار التنويري السعودي تأثره بإعادة قراءة كتب التراث بكتابات محمد عابد الجابري وكتابات الإسلاميين الحديثة حول الديمقراطية والتنمية وكذلك كتابات محمد أركون وحامد أبو زيد في تفكيك النص ونقده ورفع القداسة عنه واستنتاج بعض النظريات الفلسفية الغربية الحديثة مما تسبب في عدم توازن بعض منتسبي هذا التيار فاندفع بعضهم

إلى ساحات العلمانية وابتعد عن الفكر الإسلامي، ويقترب فكر مجموعة من التيار التنويري السعودي بأفكار شخصيات فكرية معروفة كالدكتور محمد سليم العوا والأستاذ فهمي هويدي.

ويتبين في هذا السياق تأثر بعض أفراد التيار التنويري السعودي بالمضامين العلمانية ومحاولة طلاء الدعوة بالأدلة الشرعية وذلك في إخضاع الشريعة للتصويت مع الاعتبار برضا الناس عن الدين وقبولهم له وعدم إكراههم كقول الأستاذ عبد الله المالكي: (يكون المجتمع حراً في اختيار الأفكار والرؤى والمعتقدات التي يرى أنها هي الحق، أو في اختيار المرجعية والمبادئ التي تتأسس عليها قوانينه)، وهذا الكلام وما شابهه نتج عن تشبع بثقافة الغرب وانبهار بحضارتهم مع ما يجده من الانهزامية في واقعنا المعاصر، والحقيقة التي لاشك فيها أننا لسنا بحاجة إلى المناداة بالديمقراطية ولا التأصيل لقبولها بل نحن بحاجة ماسة إلى دعوة الناس إلى معنى تطبيق الشريعة الصحيحة.

وأصبحت هموم التيار التنويري السعودي - مؤخراً - الإصلاح السياسي ودفع الاستبداد وزجر المستبد ونشر الحرية المطلقة - طبعاً وفق الضوابط الشرعية كما يزعمون - مع إهمال الأولويات بتقديم التوحيد ونبذ الشرك، ويتضح هذا الأمر في كلام الدكتور محمد العبدالكريم: (وأعظم العدل هو التوحيد، وأشرف مقامات التوحيد ليس ملاحقة عجوز تتوسل عند قبر، بل تحرير الإنسان من المعبودات البشرية، التي تستلزم الاحتساب في مواجهة كل قيد وسلطة وجبروت وكهنوت على الإنسان، ولو كانت سلطة دينية كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] ولذا فإن الحرية ملازمة للعدل، فإن

تحقق العدل تحققت الحرية، وإذا تحققت الحرية بهذا المعنى تحققت الإنسانية في أشرف مقاماتها، وبهذا الإنسان الحر ظهر الإسلام وانتشر)، ومن الواضح لمن له أدنى علم ومعرفة أن الخضوع للقبر أشد شركاً من الخضوع للمستبد عقلاً وشرعاً وهذا يدل على الخلل الواضح في أولويات التيار التنويري السعودي واضطراب منهجه الذي تشرب بعض المفاهيم العلمانية.

وبقي في التيار التنويري السعودي طلبة علم وأكاديميين ومثقفين يؤمنون بمرجعية النص وقداسته، وإن اختلفوا على الأوليات التي يرى فيها بعضهم مجالاً لتطوير هذا الخطاب ليشمل التيارات كافة، فالتوعية الحقوقية والنهضة والتنمية والسياسة هاجس لدى بعضهم، وتجديد الخطاب الديني أولوية لدى آخرين، كما أن الوعي السياسي والسياسة الشرعية حاضران لدى بعضهم الآخر، ويمكن أن نحدد التباين الفكري بين المحسوبين على التيار التنويري السعودي في أن بعضهم يقترب في أطروحاته من الفكرة العلمانية، وبعضهم الآخر يكاد يكون قريباً من السلفيين؛ وسبب ذلك أن الفروق بين التنويريين هي فروق ذاتية وليست موضوعية لأنهم يشتركون في القضايا ويختلفون في كيفية التعاطي معها بحسب الخلفيات العلمية والدوافع الشخصية.

ومن الملاحظ تباين التنويريين في القضايا الشرعية مثل ما حدث من تطاول الكاتب حمزة كاشغري على ثوابت الدين ورأى الجميع التباين الواضح قبل اعتذاره وبعد اعتذاره، حيث بدأت الطرق بالاستعطاف تارة وبلي أعناق النصوص تارة أخرى، وكل هذا في محاولة لانسجام بعض أفكار التيار التنويري ليتماشى مع مبادئ الديمقراطية التي تجيز حرية التعبير عن الأفكار والمعتقدات،

ولكن القول الحق الذي لاشك فيه أن الفكر الذي يشجع على الاعتداءات المادية جناية وجريمة في القانون، وأن الفكر الذي يشجع على الكفر بالله - عز وجل - والتكذيب بالدين أشد جرماً في دين الله - تعالى - فالعقوبة عليه متعينة، ومنعه مستمد من حكم الشريعة الإسلامية.

ويحاول التيار التنويري إقحام نفسه أو بدفع غيره في كثير من القضايا مع ما يعانيه من اضطراب في المنهجية وفقدانه للرموز المؤثرين، ومن هذه المحاولات ما كتبه الإعلامي عبد العزيز قاسم في أحد مقالاته بقوله: (من واقع رصدي للساحة الشرعية، ألفيت أن ثمة تياراً بدأ بالتشكل في الآونة الأخيرة، بعدما كان بضعة أفراد في منتصف تسعينيات القرن الفارط، وأخذت أطروحات هذا التيار؛ التي تضرب على وتر الأدبيات المدنية، وحقوق الإنسان، والحرية، والديمقراطية، في أسر كثير من الشباب الذين تربوا في المحاضن الشرعية. وقتما انفلت أولئك الإخوة بطرح خطابهم -هم يزعمون أنه إصلاحي ومن داخل التيار السلفي- جوبهوا بمعارضة شديدة، ما زالت إلى اليوم، غير أنهم تعرضوا لانتكاسة شديدة، بعد عبور أبرز آبائهم التاريخيين إلى العلمانية، وجهرهم بذلك. بيد أن هذا التيار عاد إليه الوهج من جديد، بدخول شخصية لها كاريزما وذات ثقل فكري عميق، وهو الدكتور محمد الأحمري الذي أعاد الاعتبار لهذا التيار التنويري، عبر أطروحاته المؤصلة؛ ذات النفس الإسلامي الإصلاحي؛ بعدما انفضَّ الشباب الإسلامي عنهم، وهو ما كان ينقص هذا التيار الذي بقي -طوال تاريخه القصير- بدون رمز له كاريزما واسم فكري لامع كالدكتور الأحمري .. كثير من منتسبي هذا التيار، يطلقون على أنفسهم التنويريون).

وفي نهاية المطاف تتشكل صورة التنويريين أنهم سيصبحون في الحقيقة مطايا - دون أن يشعروا - للغرب ولأصحاب الأهواء ولمن يرغب في نشر الفساد والشهوات في بلاد الحرمين وسيكونون الجسر الإسلامي لتمرير نزع الحجاب واختلاط المرأة بالرجال ونحوها من وسائل التغريب والانحلال، ولهذا يجد المتابع احتفاء وسائل الإعلام و قنوات الرذيلة بمن يقدم هذه الخدمات وتحديد مساحات كبيرة لهم من أجل بث ما يحقق مآربهم كخلخلة الثوابت الدينية وتمييع المسلمات العقدية وزعزعة العادات والتقاليد، وسينجح في تحقيقها المفسدون عبر بوابة التنوير الإسلامي تحت لواء الضوابط الشرعية وهم يعيشون في الحقيقة تحت غطاء الوهم الذي يزينه شياطين الإنس والجن أن بأيديهم إخراج الإسلام الحقيقي للناس الذي اختفى تحت حطام الاستبداد والتشدد الديني.

ويشخص الشيخ وليد الهويريني الخطاب التنويري بقوله: (أن خطابهم الإعلامي وإنتاجهم الفكري يكاد يخلو من التصدي للتيارات الليبرالية والعلمانية، وأصبح (نقد السلفية المعاصرة) وخلخلة الأحكام الشرعية المستقرة - سواء أكانت مجمعاً لديها أو ما كان منها اجتهادياً- هو المظهر البارز الذي تراه حاضراً بصورة مباشرة أو غير مباشرة في خطاب التنوير وعندما يرصد المتابع الإنتاج الإعلامي والفكري لهذا التيار - الذي يمكن تقديره بمئات الساعات التلفزيونية وآلاف التغريدات التويترية وعشرات الكتب الفكرية - يلحظ غياباً كاملاً عما يتعرض له المجتمع المسلم من اختراق تغريبي هائل لمنظومته القيمية الإسلامية).

ويجب على العلماء وطلبة العلم والمحتسبين الوقوف أمام هذا التجاوزات بالحكمة والموعظة الحسنة وفتح باب الحوار لمعالجة الأخطاء والمخالفات من أجل تحقيق الوئام والاتفاق على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة؛ ليتحقق توحيد الصفوف والمشاركة في نصرة الدين وأهله في كل مكان وزمان.

وأختم المقال بكلمات سطَّرها الشيخ ماجد البلوشي بقوله: (التنوير المزعوم باب شر عظيم للخروج عن الشريعة وتوقيرها وامتثال أمر الله وتعظيم نهيه، والذي يصدّق دعواي هذه ويكون برهاناً عليها هو سبر أحوال القوم فإنه لم يكدْ يسلم أحد منهم من الانحراف في قضايا شرعيّة كليِّة، وأما بقاء نفر يسير منهم دون الوصول للانحراف النهائي أو مراوحته في مرحلة التذبذب والتيه والشتات فهذا هو الشذوذ الذي يُثبتُ القاعدة، أين مكانة العبادات الفرديّة وعمارة المساجد بالصلاة والعبادة وإصلاح الباطن والانكباب على تلاوة الوحي وتهذيب النفس بالإيمان والتنسك الصادق وحُسن السمت وعمارة الظاهر بالسنة وإغاثة الفقراء والمساكين والمساهمة في نشر الدعوة إلى الله والدفاع عن الإسلام والاهتمام بعموم المسلمين وقضاياهم وتعظيم العلماء الربانيين والاهتمام بالعفاف والسمو الأخلاقي ونشر العلم النافع والعمل الصالح؟ أين مكانة كل هذه المآثر الشرعية الحميدة من أنفسهم وتقريراتهم وكتاباتهم؟ ولهذا تجد أحدهم يفني ساعات ليله ونهاره في نقد التوجه السلفي ولا تجد له كلمة واحدة في الانتصار لدين الله القيام بحق المسلمين المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها).

❁ ❁ ❁

خاطرة حول الحراك الفكري [1]

لاشك أن الاستغراق في قراءة الكتب الفكرية والمقالات الصحفية والروايات القصصية مع ضعف العلم الشرعي وجفاف المواعظ والرقائق يدل على قرب الولوج من بوابة الانحرافات وبداية سلوك الطريق المؤدي إلى تكذيب النص الشرعي.

وهذا التكذيب يحدث تدريجياً، حيث يبدأ بتشرب القلب لهذه الشبهات والعوارض والإيرادات مما يؤدي إلى ضعف تعظيم النص الشرعي في القلب ثم تبدأ مراحل التكذيب بدايةً من تقديم العقل على النص أو محاولة تأويله وتضعيفه حتى ينتهي المطاف بالمعارضة والتكذيب.

ومن الملاحظ في الآونة الأخيرة ظهور الانحرافات العقدية والفكرية -بشكل واضح -في وسائل الإعلام - تويتر مثلاً - ويعود السبب الرئيسي - من وجهة نظري - إلى الانبهار بالغرب في المجال الحضاري والعسكري مع ضعف التسليم للنص الشرعي.

ومن الواضحات أن التسليم للنص الشرعي قاعدة يقتضيها الدليل والمنطق العقلي الصحيح لأن النص هو كلام الله -تعالى -وكلام رسوله ﷺ وقد دل العقل الصريح أنه رسول من عند -عز وجل -فكمال التسليم من كمال العقل والمخالفة تدل على ظلم النفس وإتباع الهوى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ١٨/ ٧/ ١٤٣٤هـ.

﴿يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [الروم: ٢٩].

ومن أسباب الثبات على الإسلام والسنة والترقي في منازل الإيمان والالتحاق بقوافل الصديقين: (تحقيق التوحيد، والتسليم الكامل للنص الشرعي على فهم سلف الأمة)، وقد سطَّر العلامة ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى -كلاماً عظيماً في هذا السياق حيث قال: (اعلم أن التسليم هو الخلاص من: شبهة تعارض الخبر، أو شهوة تعارض الأمر، أو إرادة تعارض الإخلاص، أو اعتراض يعارض القدر والشرع. وصاحب هذا التخلص هو صاحب القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به. فإن التسليم ضد المنازعة. والمنازعة: إما بشبهة فاسدة تعارض الإيمان بالخبر عما وصف الله -تعالى -به نفسه من صفاته وأفعاله وما أخبر به من اليوم الآخر... وغير ذلك، فالتسليم له ترك منازعته بشبهات المتكلمين الباطلة. وإما بشهوة تعارض أمر الله -عز وجل-، فالتسليم للأمر بالتخلص منها. أو إرادة تعارض مراد الله من عبده، فتعارضه إرادة تتعلق بمراد العبد من الرب، فالتسليم بالتخلص منها. أو اعتراض يعارض حكمته في خلقه وأمره، بأن يظن أن مقتضى الحكمة خلاف ما شرع وخلاف ما قضى وقدر، فالتسليم التخلص من هذه المنازعات كلها. وبهذا يتبين أنه من أجل مقامات الإيمان وأعلى طرق الخاصة، وأن التسليم هو محض الصديقية، التي هي بعد درجة النبوة، وأن أكمل الناس تسليما أكملهم صديقية) [1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: مدارج السالكين، ٢/ ١٤٧.

التـــوازن الحقيقـــي (١)

الشريعة الإسلامية جاءت بالشمول والتوازن والوسطية التي جعلها سبحانه وتعالى من خصائص هذه الأمة بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وهكذا كانت حياة النبي ﷺ وحياة أصحابه الكرام التي تعتبر قدوةً لنا في هذا التوازن وتطبيقاً له على الواقع.

وعندما تغيب شمولية الإسلام وتوازنه عن كثير من الناس أو لا يتضحان في تصورهم بالقدر الكافي، يخطئون في فهم جوانب من نظام الإسلام، فيغالون فيها أو يقصرون، فينشأ عن خطأ الفهم انحراف في السلوك والأخلاق، وقد كانوا في غنى عن خطأ الفهم، وبمنجاة من انحراف السلوك والأخلاق لو اتضحت لهم شمولية الإسلام وتوازنه.

إن الإسلام نظام شامل لكل نواحي الحياة، وله في كل قضية حكم، وفي كل نشاط تشريع، وفي كل عمل فتوى، فينبغي اعتماد الأحكام الإسلامية في كل مناشط الحياة، دون غلو أو تقصير، أو إفراط وتفريط.

ولقد أدرك فقهاؤنا الأولون هذه الخاصية في الإسلام، فقسموا أمور الدين المطلوبة إلى درجات وكذلك المنهيات، وينبغي أن نعطي كل جزئية من الإسلام حقها من الاهتمام فلا تقدم النوافل على الفروض.

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ١٧/ ٨/ ١٤٣٤هـ.

ومن هذا المنطلق فإن عدم تحقيق التوازن بين طلب العلم الشرعي والتحصيل الفكري والاهتمام بالواقع دليل على عدم التوازن ومدعاة للوقوع في الخطأ ومجانبة الصواب في كثير من الأمور -مع الاتفاق على شرف العلوم الشرعية -.

ونحن بحاجة في واقعنا المعاصر إلى طاقات بشرية تمتلك من المخزون الشرعي والفكري ما تستطيع أن تميز به بين المكاسب والخسائر مع الإلمام التام بفقه الواقع عبر قنواته الصحيحة، وهذه من السُبل السليمة للنهوض بالأمة مع هذه التطورات السريعة للأحداث.

ومن فُتح له في مجال ولم يُفتح له في آخر فليس عليه إلا أن يفتح باب التعاون ونقل الخبرات، لأن الباحث الإسلامي المعتني برصد واقع الأمة وتحليل أحداثها ينبغي عليه أن يتواصل مع علماء الشريعة وغيرهم من الباحثين السياسيين والاقتصاديين لكي تكون تحليلاته واستنتاجاته واضحة وقريبة من الصواب.

ولا يشك عاقل أن الأمة تحتاج إلى العالم والعابد والداعية والواعظ والمجاهد والمتخصص في المجالات الدنيوية كالهندسة والطب والتقنية مما يزيد من قوة الأمة وتقدمها حتى تقوم بدورها الحقيقي في قيادة الشعوب والأمم.

وختاماً: هذه هي شمولية الإسلام، التوازن الحقيقي، فلا تقتصر على جانب من الإسلام دون الأخذ بجميع جوانبه، ولا نغالي في أمر من أمور الإسلام بتضخيمه وإعطائه من الأهمية أكثر مما أعطاه الله ورسوله ﷺ، ويجب أن نزن الأمور بميزان الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، فلا نغالي ولا نجافي، ولا نتقدم ولا نتأخر عن هدي الكتاب المبين وسنة الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام -.

ملك الجوارح والقرآن العظيم (١)

خرج الإنسان إلى الدنيا بعدما مكث في عالم الأرحام مدةً قدَّرها الله -تبارك وتعالى -وأسبغ عليه من النِّعم الظاهرة والباطنة، والفائز في الحقيقة من سلك طريق الخير وكان من الشاكرين: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨]، وجعل الله -تعالى- مدار الهداية والغِواية للإنسان على قلبه: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

وجعل الله - عز وجل - القلب مصدراً للتأثير على الجوارح في تلقي الوحي: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧]، ويكمن الصلاح والفساد في القلب الذي يعبر ملكاً للجوارح، فإذا صح القلب من مرضه وفساده، ورفل بأثواب العافية والصلاح، تبعته الجوارح كلها ؛ لأنها تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده، كما قال الصادق المصدوق ﷺ: «**ألا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألا إِنَّ حِمَى الله فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، ألا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وَهِيَ الْقَلْبُ**»(٢).

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ١٥/ ٩/ ١٤٣٤هـ.

(٢) رواه البخاري، رقم الحديث (٥٠)، باب: (فضل من استبرأ لدينه).

والقلب هو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه عرف خالقه، وهو الذي إذا جهله الإنسان فقد جهل نفسه، وإذا جهل نفسه فقد جهل خالقه، وكثير من الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وخالقهم، وقد حيل بينهم وبين أنفسهم، وأعظم من ذلك كله أن الله -تعالى - يحول بين المرء وقلبه فيمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة أسمائه وصفاته، مع أن حاجة القلب إلى معرفة الله -تعالى - وأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم من حاجة البدن إلى الطعام والشراب، قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

والقلب في الحقيقة محل الإيمان والتصديق، واليقين والتعظيم لرب العالمين، والخوف منه، والتوكل عليه، ومحبته والأنس به، ومعرفته، والانقياد له، والتسليم له، ولذا صار القلب محل نظر الله -تعالى -، كما قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**» (١).

والسعادة الحقيقية للإنسان في إخراج قلبه من تحت حطام الدنيا وتصفيته من الشرك وشوائبه وجعله في السماء قريباً من الوحي الإلهي منقاداً به خاضعاً له، والطريق المؤدي إلى ذلك هو سلوك سُبل العلم الصحيحة وترجمتها إلى أعمال صالحة تقوم بها الجوارح، ومن فاته العلم النافع وقع في الأربع التي استعاذ منها رسول الله ﷺ بقوله: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَا**» (٢).

---

(١) رواه مسلم، رقم الحديث (٤٦٥١)، باب: (تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه).

(٢) رواه مسلم، رقم الحديث (٤٨٩٩)، باب: (التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل).

والقلب الحي إذا عرضت عليه القبائح نفر منها بطبعه، وأبغضها ولم يلتفت إليها، بخلاف القلب الميت فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح، وكذلك القلب المريض بالشهوة، فإنه لضعفه يميل إلى ما يعرض له من ذلك فيعطب، والموت الحقيقي للقلب يكون بانقطاع القنوات من الوحي الإلهي عنه حتى ولو كان سليم البدن والعقل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وإذا مات قلب العبد تعطلت جوارحه عن الطاعة والعبادة ولم يؤدِ حق الله -تعالى – من العبودية ولم يعمل بكتاب ربِّه ولا بسنة رسوله ﷺ وعادى الرحمن ووالى الشيطان، وأكل رزق الله -تعالى -ولم يشكره، ودفن الموتى ولم يعتبر، وعلم أن الموت حق ولم يستعد له، وأقبل على الدنيا يعمرها وينافس في جمع حطامها، ويتعذب بذلك في ليله ونهاره، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

وزينة القلب الحقيقية تكمن في الإيمان، ومن جميل وصف الرب -سبحانه وتعالى -للجيل الأول -رضي الله تعالى عنهم أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين -قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]، وزينة الجوارح الحقيقية بالأعمال، وزينة الإنسان الداخلية والخارجية تكمل بالأخلاق الحسنة التي وصف الله -تعالى- بها نبيه محمداً ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

والعالمون بالله -تعالى- يوقنون أنه ليس في الوجود شيء غير الله -تعالى- يسكن إليه القلب، ويطمئن ويأنس به، ويتلذذ بالتوجه إليه، وأنه لا نعيم للقلب ولا لذة، ولا ابتهاج ولا كمال؛ إلا بمعرفة الله -تعالى-ومحبته، والطمأنينة بذكره، والفرح والابتهاج بقربه، والشوق إلى لقائه، فهذه جنته العاجلة، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

وتزكية القلوب تكون بالتوحيد والإيمان والنوافل المشروعة وترك المعاصي والمحرمات، فإذا زكت القلوب ذكرت ربها في كل حين، وعبدته بكل جارحة، وأطاعته في كل أمر، وتخلقت بأحسن الأخلاق: ﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [فاطر: ١٨]، وهذا كله من فضل الله - تعالى - فلولا فضله ورحمته على المؤمنين ما زكت نفس واحدة، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٢١].

وكما أن السموات والأرض لو كان فيهما آلهة إلا الله -تعالى-لفسدتا، فكذلك القلب إذا كان فيه معبود غير الله -تعالى-، فسد فساداً لا يرجى صلاحه، إلا أن يخرج ذلك المعبود من قلبه، ويكون لله وحده هو إلهه ومعبوده ومحبوبه، كما وصف الله -تعالى-أهل الإيمان بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ ﴾[البقرة: ١٦٥] فحبهم لله - تعالى - وتمام معرفتهم به، وتوقيرهم وتوحيدهم له، لا يشركون به شيئًا، بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه، ويلجؤون في جميع أمورهم إليه.

وإذا كانت القلوب متوجهة إلى الله -تعالى- فتحت لها أبواب الهداية والسعادة والخير في الدنيا والآخرة: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١]،

وإذا أحب الله عبداً، هداه إليه، وأدخله بيته، وأشغله فيما يحب، واستعمل قلبه وجوارحه فيما يحب: ﴿ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٣]، وصلاح القلب وسعادته وفلاحه في عبادة الله وحده، والاستعانة به وحده: ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٣]، وهلاك القلب وشقاؤه، وضرره العاجل والآجل، في عبادة المخلوق والاستعانة به، فاحذر ذلك: ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴾ [الإسراء: ٢٢]، وأعظم أسباب انشراح الصدر التوحيد الخالص لله -تعالى-، وعلى حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر: ٢٢].

ومن علامات القلب الحي الواردة في القرآن الكريم:

١- وجل القلب من الله -سبحانه -، وشدة خوفه منه، قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

٢- القشعريرة في البدن، ولين الجلود والقلوب عند سماع آيات القرآن العظيم، قال الله -عز وجل -: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣].

٣- خشوع القلب عند ذكر الله -سبحانه -، قال الله -تعالى -: ﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن

قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦].

٤- الإذعان للحق والإخبات له، قال الله -سبحانه -: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٤].

٥- كثرة الإنابة إلى الله -تعالى-، قال الله -عز وجل-: ﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق: ٣٣] .

٦- السكينة والوقار، قال الله -تعالى-: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ٤].

٧- خفقان القلب بحب المؤمنين، قال الله -سبحانه-: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

٨- سلامة القلب من الأحقاد، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وختاماً: فإنه ليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن العظيم وجمع الفكر على معاني آياته فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر، وتدله على مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتريه صور الدنيا والآخرة.

❁ ❁ ❁

النور المبين في طريق المتقين [١]

تكثر الفتن في المجتمعات وتخيِّم على سمائها سحب المخالفات فيلتبس الحق بالباطل وتختفي معالم السنن على كثير من الناس ويختلط الهُدى بالضلال فتكون تقوى الله -تعالى-نوراً ساطعاً في طريق الحق والهداية ويبدد نورها ظلمات الجهل والغواية ومن رُزق التُقى والهُدى وفِّق للفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩].

والموفق في الحقيقة من وهبه الله -تعالى-التقوى لأن بها يمشي المؤمن بنور من ربه -تعالى-على درب النجاة ويكون سالماً من جميع المؤثرات العقدية والمنهجية، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الحديد: ٢٨].

ولا يخفى على كل صاحب عقلٍ رشيد أن الأمة الإسلامية تحتاج في الزمن المعاصر والمستقبل إلى أن تغمر قلوب أفرادها تقوى الله -تعالى-والإيمان الثابت في قلوبهم كثبات الجبال في الأرض، وأن يتيقن الجميع أن الدين منصور وأن العاقبة للمتقين مهما تكالب الأعداء من الداخل والخارج وأن هذا وعد الله -تعالى-كما قال في كتابه العظيم: ﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الروم: ٦].

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ٨/ ١١/ ١٤٣٤هـ.

ومن تعلق بالوحي الإلهي تيقن أن عز الأمة وسيادتها وفلاحها مرهون بتمسكها بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ ومن سبر التاريخ وجد هذه الحقيقة يومَ أن كانت الأمة متمسكة بإسلامها الحق ومهتدية بنور الوحي الإلهي مقتفية بآثار النبوة ومقتدية بسلف الأمة -رحمهم الله تعالى-دانت لها المشارق والمغارب واجتمعت كلمتها ورفرفت رايتها وتوحدت صفوفها ولم تجد البدع والأهواء طريقاً إلى مجتمعاتها وأفرادها.

وكل عاقل له طريق يسلكه في حياته بين جنباته الخير والشر، وينتهي به إلى السعادة والعزة والخير في معاشه ومعاده أو إلى الشقاوة والذلة والشر، وأن الفائز في الحقيقة من سلك الطريق الذي وضعه الخالق للخلق: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[الأنعام: ١٥٣].

ومن سلك طريق الحق فله النصر المبين في الدنيا والآخرة، وهذا في الحقيقة ميزان لأهل الإيمان: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[غافر: ٥١]، وجاءت البشرى من سيد الأولين والآخرين ﷺبقوله: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل**»(١).

وفي نهاية المطاف فإن من الواجبات المتحتمات على العلماء وطلبة العلم والدعاة في كل مكان وزمان -خاصة في وقت الأزمات والفتن- أن يقودوا الناس

---

(١) رواه ابن ماجه، رقم الحديث (١٠)، وصححه الألباني.

للخير والفلاح، وأن يبادروا بالدعوة والإنكار على جميع المعاصي والمنكرات التي تصدر من الراعي والرعية، وأن تكون لهم القيادة والكلمة في نوازل الأمة مستضيئين بنور الوحي ومدركين للواقع من مصادره الموثوقة، لأن العلم الشرعي في الحقيقة شرف لحامله وأمانة في الصدع به وتبليغه للناس، ومن حمل رسالة الإسلام فإنه لا يسلم من تهديدات القوى الدنيوية؛ ومن سبر حال الأنبياء والرسل والسلف الصالح وجد ذلك، وينبغي على الجميع أن يكون قول الحق سبحانه وتعالى متمثلاً لهم في كل مواطن الحياة: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

❁ ❁ ❁

حقيقـــــة لا خيـــــال [١]

الحكمة العظمى من خلق الإنس والجن عبادة الله وحده لا شريك له، ولذلك فقد جعل الله -تعالى-الدنيا مكاناً للابتلاء والاختبار ليميز الخبيث من الطيب، إلى أن ينتهي الأمر بمفارقة الروح للبدن في مشهد حقيقي عظيم ذُكرت تفاصيله في القرآن الكريم، ثم تبدأ الرحلة الحقيقية للإنسان إلى دار الآخرة التي تبدأ بحياة البرزخ والتي تفصل بين الدنيا والآخرة.

ثم يأتي اليوم العظيم المهيب ألا وهو يوم القيامة، ذلك اليوم الذي تقشعر منه الجلود، وتشيب منه الرؤوس، ولِـمَ لا؟ فهو اليوم الذي تتبدل فيه الأرض غير الأرض، وتضطرب السماء، وتتشقق الأرض، وتندك الجبال، وينخسف القمر، وتتكور الشمس، وتنتثر الكواكب، وتسجَّر البحار وتشتعل ناراً.

ذلك اليوم يشهده الأولون والآخرون، ويحشر فيه الملوك والفقراء وغيرهم حُفاة عُراة غُرلاً، لا ينفعهم مالهم ولا جاههم ولا سلطانهم، وتستوي الخلائق وليس بينهم وضيع الكل عبادٌ لله - تعالى - كما قال سبحانه: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣]، وقد وصف رسول الله ﷺ حشر العباد في يوم المعاد بقوله: «**يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حُفاة عُراة غُرلاً كما قال تعالى**: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]،

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ٦/ ١٢/ ١٤٣٤هـ.

فقالت عائشة - رضي الله تعالى عنها - يا رسول الله: النساء والرجال فقال: «**يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم بعضاً**»(١)، وتكون أرض المحشر في بلاد الشام كما وصفها رسول الله ﷺبقوله: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علمٌ لأحد**»(٢)، وتكون الشمس قريبة من أهل المحشر كما قال رسول الله ﷺ: «**تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل**»(٣)، ويكون عرق الناس في هذا الموقف على قدر الأعمال كما قال رسول الله ﷺ: «**فيكون الناس على قدر أعمالهم من العرق فمنهم ما يكون إلى كعبيه، ومنهم ما يكون إلى ركبتيه، ومنهم ما يكون إلى حقويه، ومنهم ما يكون العرق يلجمه إلجاماً**»(٤).

ويبدأ الحساب والجزاء بين الخلائق بالعدل والحق، يقول جل وعلا: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٦٩]، فلا تخفى صغيرةٌ ولا كبيرةٌ إلا أحصاها الله -تبارك وتعالى - ويحاسب عليها العبد بين يدي أحكم الحاكمين.

وينصرف الخلق بعد الحساب والجزاء بالعدل والحق إلى الجنة أو النار اللتان جاء وصفهما في كتاب الله العظيم وسنة رسوله ﷺ فدعا سبحانه إلى المسارعة إلى دار النعيم بقوله: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ

---

(١) رواه مسلم، رقم الحديث (٥١٠٤)، باب: (فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة).

(٢) رواه مسلم، رقم الحديث (٤٩٩٨)، باب: (البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة).

(٣) رواه مسلم، رقم الحديث (٥٠١٨)، باب: (صفة يوم القيامة).

(٤) المرجع السابق.

﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ووصفها رسول الله ﷺ بقوله: «**قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال تعالى:** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾»(١).

فالجنة أبوابها ثمانية فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريَّان، وقد يُدعى الإنسان من جميع الأبواب التي بين مصراعي أحدها كما بين مكة وهجر.

والجنة فيها درجات فأعلاها الفردوس الأعلى الذي سقفه عرش الرحمن، وبناؤها لبنة من فضة ولبنة من ذهب ومُلاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، وفيها غُرف يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، للمؤمن فيها خيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلاً في السماء، وفيها شجرة يسير الراكب بجواده في ظلها مائة عام لا يقطعها، وفيها من الفواكه المنوعة، وتذلل أغصان الأشجار للمؤمن إذا قعد أو اضطجع ويأكل من ثمارها وإذا قطع ثمرة خرجت غيرها.

أهل الجنة آمنون من الموت والنوم والهرم والمرض والخوف، آمنون من كل ما يُنغِّص وينقص نعيمهم، وفي الجنة أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، وفيها ولدان مخلدون بجمالهم وانتشارهم في خدمة المؤمنين كأنهم اللؤلؤ المنثور.

---

(١) رواه البخاري، رقم الحديث (٣٠٠٥)، باب: (ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة).

والحور العين من نعيم المؤمن في الجنة فيُعطى قوة مائة رجُل في الجماع، وطوله وعرضه ستون ذراعاً، وجماله كجمال يوسف - عليه السلام -، وخُلقه كخُلق محمد ﷺ، وطوله كطول آدم - عليه السلام -، وعُمره كعُمر عيسى - عليه السلام -، وجمال الحورية وحُسنها لا يوصف فيجامعها المؤمن فتعود بكراً، ومن صفاتها أنها متحببةً لزوجها، والحوريات متساويات في الأعمار، ونصيف إحداهن من على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويُرى مُخ ساقها من سبعين حُلة، ولعابها لو قطرةٌ منه تسقط في الأبحر المالحة لكانت عذبة زلالاً، وغيرها من صفات الحور التي اشتاق إليها العُبَّاد والصالحون والمجاهدون والأولياء، وعلى هذا ينادي منادٍ في الجنة يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، وأن لكم فيها أن تصحوا ولا تسقموا، وأن تحيوا فيها ولا تموتوا، وأن تشبُّوا فيها ولا تهرموا أبداً، وعلى هذا فإن لأهل الجنة موعد في يوم الجمعة عندما تُعد لهم النجائب فيُحملون عليها إلى مكان الموعد في الوادي الأفيح لمقابلة العزيز الحميد - جل وعلا - وهذا هو أنعم النعيم والزيادة وقرة عيون المؤمنين، قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

وفي المقابل حذَّر -سبحانه -الناس وخص أهل الإيمان بالتحذير من دار الجحيم بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

النار دار رؤوس الكفر والنفاق، دار فرعون وهامان وقارون وأبي جهل وأُبي بن خلف وغيرهم من الطغاة والفجَّار ؛ مكانها بعيدٌ في أسفل السافلين، لها دركات أسفلها دار المنافقين، أشجارها كأنها رؤوس الشياطين، طعامها الزقوم، قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا**

لأفسدت على أهل الأرض معايشهم»[(١)]، وطعامهم لايسمن ولايُغني من جوع، وإذا أكلوا ازدادوا عطشاً وبحثوا عن الماء: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، وإذا أراد أحدهم أن يشرب من الماء سقطت فروة شعر رأسه ولحمة وجهه وتقطعت أمعاؤه وتمزق جلده وانسلَ ما في بطنه وخرج من دبره وهو مضطرٌ على فعل ذلك: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧]، وأما لباس أهل النار فيتعذبون به وتشتد عليهم الحرارة والعذاب: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

النار حرها شديد، وقعرها بعيد، نارها تفوق نار الدنيا بتسعة وستين جزءاً، لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى، سوداء مظلمة، عذابها شديد، يتمنى أهلها الخلاص والراحة من العذاب ولو لحظة فينادون خزنة جهنم: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩]، فترد عليهم الملائكة: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٥٠]، فلا يستجاب لهم لأنهم لم يستجيبوا للرسل حينما دعوهم إلى الله - تعالى - فكان الجزاء من جنس العمل فيقول أهل النار لله - عز وجل -: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١٠٧]، فيقول الله - جل وعلا - لهم: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، وعلى هذا يزدادون بؤساً وحسرةً وندامة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ

(١) رواه الترمذي، رقم الحديث (٢٥٨٥)، وصححه الألباني.

ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وتعرف النار أهلها من مكان بعيد: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٢]، فتتقطع قلوب أهل النار وهم يصطرخون فيها ويسألون وهم يعذبون: ﴿ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴾ [الملك: ٧ – ٩]، وأشد العذاب لأهل النار بأنهم لا يرون الله –جل وعلا–: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥ – ١٧].

نسأل الله العلي القدير أن يأمِّنا يوم الفزع الأكبر ويجعلنا من الآمنين، ويظلنا بظله يوم لا ظل إلا ظله، وأن يرزقنا الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ويجنبنا النار وما قرب إليها من قول وعمل، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مملكـــة الدجالـــين [١]

تنشط مملكة الدجالين والكُهَّان والمشعوذين والسَّحرة كما هو الحال في كل زمان ومكان، ويعظم مع ذلك الجهل ويقل فيه العلم لأن هؤلاء الكُهَّان والعرافون يسعون على إفساد عقائد الناس وصرفهم عن التوحيد الخالص لله رب العالمين فيتعلَّق الناس بهؤلاء الدجالين بدلاً من تعلقهم بالله -تعالى -حيث إن جميعهم يدركون تماماً أن اللجوء إلى النصب والاحتيال هو أوسع طريق وأسرعه لجلب الأموال واستنزافها من الناس المخدوعين وهم لا يفعلون ذلك من أجل ابتزاز أموال الناس فحسب بل من أجل أن يسعوا في الأرض فساداً.

والواجب علينا اتجاه هؤلاء السَّحرة أن نفضح أمرهم ونكشف حيلهم ونحقِّر من شأنهم ونجتنبهم اجتناباً تاماً ونسد عليهم كل باب شر يفتحونه على الناس ليرتد كيدهم إلى نحورهم وشرهم إلى نفوسهم وألا نذهب إليهم ولا نستشيرهم في أي شيء متذكرين قول رسول الله ﷺ: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**» [٢].

وأما من جانب العلماء والفقهاء وأهل الحُسبة والصلاح فالواجب عليهم أن ينكروا على الكُهَّان وما يفعلون وأن يبيِّنوا للناس أن طريق الكُهَّان والسَّحرة هو طريق الشيطان المؤدي إلى نار جهنم - والعياذ بالله تعالى - وأن يبيِّنوا لهم أن

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ٢٥/ ٢/ ١٤٣٥هـ.

(٢) رواه مسلم، رقم الحديث (٤١٣٧)، باب: (تحريم الكهانة وإتيان الكهان).

الذهاب إلى السَّحرة إثمٌ عظيم كما في حديث أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»(١)، ويجب كذلك أن ينكروا على الناس مجيئهم للكُهَّان والسَّحرة وأن يوضحوا للناس الطريق الشرعي الصحيح للعلاج إذا ابتُلي الإنسان بشيء من هذا القبيل كالسِّحر والمس والعين وغير ذلك فيبيِّنوا لهم أن العلاج الوحيد لذلك هو القرآن الكريم والأدعية المأثورة الواردة في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ.

وأما ما يجب على ولاة الأمر فهو أن يأخذوا على أيدي هؤلاء السَّحرة وأن يقيموا عليهم الحد الشرعي ويحاربوهم في كل مكان ليستأصلوا شأفتهم ويضيِّقوا عليهم الخِناق في جميع أنشطتهم الضارة ويراقبوهم في جميع أعمالهم.

نسأل الله تعالى أن يحيينا على الإسلام والسنة، وأن يميتنا على الإيمان والتوحيد، وأن يجعل قرارنا الفردوس الأعلى، والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

(١) رواه ابن ماجه، رقم الحديث (٦٣٩)، وصححه الألباني.

موعظـــة وذكـــرى [١]

لقد أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً حتى أوجده الله – تعالى – من العدم، وأسبغ عليه من النعم، ودفع عنه النقم، ويسر له أسباب البقاء والهداية، وبيَّن له طريق الخير والشر، وعرَّف له النهاية؛ إما شقاء أو سعادة، وجعل له دارين دار ممر وعبور ودار مقر وخلود، فأما دار الممر والعبور فهي الدنيا التي كل ما فيها ناقص إلا ما يقرب للخالق، فأمالها آلام، ولو تبصر العاقل فيها لعرف قدرها وهوانها، وعلم غدرها وخداعها، تترآى لعاشيقها كالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءها لم يجدها شيئاً: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

وبعض الخلق يغترون بالدنيا فينغمسون في شهواتها مع أنها مولية مدبرة، ويعرضون عن الآخرة مع أنها مقبلة باقية: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ [الكهف: ٤٦]، مع أن من آثر الآخرة حصل له من النعيم في الدارين والحياة الطيبة: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، وأن الآخرة هي الحياة الحقيقية، فعندما تبدأ أحداثها يقول الإنسان

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ١٢/ ٥/ ١٤٣٥هـ.

ياليتني قدمت لحياتي فيكون الجزاء من جنس العمل: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨-٩].

والموفق من تنبَّه مع الاستغراق في الدنيا أن استحضار قرب الرحيل، وسرعة انقضاء مدة الحياة من أنفع الأدوية للقلب الذي سكن تحت حطام الدنيا الفانية فهو باعثه لانتهاز فرص الخير التي تمر مر السحاب، والمسارعة إلى الطاعات قبل طي الصحائف والسجلات، روى البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمر -رضي الله تعالى عنهما -قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وكان ابن عمر يقول: (إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك) (١).

وفي الحقيقة أن من طال عمره فلا بد يأتي اليوم الذي يكون فيه طريحاً بين أهله لا حراك له، وقد وقعت منه الحسرة، وجفت منه العبرة، وثقل منه اللسان، وعلا صراخ الأهل والولدان، ونادى القريب والبعيد بالأطباء والدواء، ولكن وقع القدر والقضاء: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٨٧]، ففي هذه اللحظات ينظر العبد آخر النظرات على من حوله من الأبناء والبنات، والإخوان والأخوات، وتسبقها الآهات والزفرات، وتعقبها السكرات والحسرات، فتخرج الروح إلى السماء فتبقى السيئات والحسنات.

---

(١) رواه البخاري، رقم الحديث (٥٩٣٧)، باب: (قول النبي ﷺ: كن في الدنيا كأنك غريب).

ومن اليقين عند أهل التوحيد والإيمان أن الله -تعالى - قضى على هذه الدنيا أنها فانية زائلة لا محالة، ويبقى العلي العظيم -سبحانه -: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، ويحشر القوي الجبَّار الناس أجمعين حُفاة عُراة غُرلاً بُهماً، لا ينفعهم مالهم، ولا جاههم، ولا سلطانهم، وتستوي الخلائق وليس بينهم وضيع فالكل عبادٌ لله - تعالى -: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣] فعن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن النبي ﷺ قال: «**يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حُفاة عُراة غُرلاً كما قال الله**: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]»، فقالت عائشة: يا رسول الله النساء والرجال، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم بعضاً**»(١).

وتكون أرض الشام هي أرض المحشر، ووصفها النبي ﷺ فقال: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علمٌ لأحد**»(٢)، فأرض المحشر لا حجر فيها ولا شجر، وتدنو عليهم الشمس كمقدار ميل، فقد قال رسول الله ﷺ: «**تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل**»(٣)، فيكون الناس على قدر أعمالهم من العرق، فمنهم ما يكون إلى كعبيه، ومنهم ما يكون إلى ركبتيه، ومنهم ما يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، ويبدأ الحساب والجزاء بالحق والعدل: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

(١) رواه مسلم، رقم الحديث (٥١٠٤)، باب: (فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة).

(٢) رواه البخاري، رقم الحديث (٦٠٤٠)، باب: (يقبض الله الأرض يوم القيامة).

(٣) رواه مسلم، رقم الحديث (٥٠١٨)، باب: (صفة يوم القيامة).

وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الزمر: ٦٩ - ٧٠].

فينادي الرحيم الرحمن، فيقول: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، فالجنة فيها الدرجات أعلاها الفردوس سقفها عرش الرحمن، وبناؤها لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، وفيها غرف يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، والخيمة الواحدة فيها طولها في السماء ستون ميلاً، ويسير الراكب في ظل أشجارها بجواده مائة عام لايقطعها، وفيها الأنهار والحور والقصور والدور، وفيها من النعيم ما لذ وطاب – نسأل الله من فضله –.

وينادي الرحيم الرحمن، فيقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]، فالنار دار البوار تجمع أهل الكفر والنفاق، لها دركات، وطعامها الزقوم، وأشجارها كأنها رؤوس الشياطين، وماؤها يغلي في البطون كغلي الحميم، من أراد الشرب تسقط فروة رأسه، وتتمزق لحمة وجهه، وإذا شرب ينسل ما في بطنه من دبره، وكلما أرادوا الخروج أعيدوا فيها ليذوقوا العذاب – اللهم أجرنا من النار –.

نسأل الله العلي القدير أن يرزقنا الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بالله من النار وما قرب إليها من قول وعمل، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❁ ❁ ❁

مع القـــرآن العظـــيم [١]

لم يكن في مسجد النبي ﷺ منبرٌ يخطب عليه بل كان يخطب الناس على جذع عند مصلاه في مسجده الشريف فلما اتخذ رسول الله ﷺ منبراً من ثلاث درجات وعَدَلَ عن الجذع بكى وحنَّ حنين النوق العشار وارتج المسجد لخواره وبكائه حتى وضع النبي ﷺ يده عليه وضمه فسكت، وسبب بكاء الجذع حزناً على فراق النبي ﷺ ومن سمع الآيات والمواعظ، وإن لم يفعل ذلك النبي ﷺ لكان بكاؤه إلى قيام الساعة ثم أمر النبي ﷺ بالجذع فدفن تحت المنبر، قال الحسن البصري - رحمه الله تعالى -: (يا معشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه أوليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه) [٢].

الوحي الإلهي له تأثير على الموجودات فهذا الجذع يحن للآيات والمواعظ، وذاك الجبل الراسخ يخشع ويتصدع من خشية الله – تعالى – : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].

والمضغة في صدر الإنسان إذا صدَّت عن ذكر الله -تعالى- كانت في قساوتها كالحجارة أو أشد مع أن في الحجارة ما يهبط من خشية الله -تعالى-: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ

---

(١) كتب المقال بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ٢٠/ ٩/ ١٤٣٥هـ.

(٢) انظر: دلائل النبوة، البيهقي، ٢/ ٥٥٩.

وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤]، ولهذا دعا الرحمن الرحيم عباده المؤمنين بمعاهدة كتابه الكريم ولا يكونوا كأهل الكتاب من قبلهم بتركهم ما أنزل الله -تعالى- عليهم وكانت عقوبتهم الموت الحقيقي بقسوة القلب: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦].

ومن أراد الهداية في الدنيا والآخرة والفوز فيهما فعليه بكتاب الله – تعالى – : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

ومن أراد الهُدى والرحمة والشفاء والموعظة للقلوب ليس بينه وبين ذلك إلا أن يرتل ويستمع الآيات من كتاب الله العزيز الحميد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧].

وتتنزل السكينة على النفوس، والسكون في المكان عندما يتهادى صوت القرآن بتدبر وإخلاص: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ ﴾ [الفتح: ٤].

وحال المؤمنين مع القرآن العظيم: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

إن هذا الكتاب المبارك يعتبر الميزان الحقيقي بين البشرية على الأرض، ومن أسباب الترقي بالدرجات العُلى في الجنان، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الله يَرْفَعُ بِهَذَا**

الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ» (١).

والخيرية بين الخلق لا تحددها الأنساب والأحساب والأموال والمناصب وإنما تحديدها بقول المصطفى ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» (٢).

وفي يوم القيامة يبحث العبد عن شفيع له ويجد القرآن الكريم يتأهب لذلك لمعرفته الصادقة به، قال الصادق المصدوق ﷺ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِصَاحِبِهِ**» (٣).

والموفق في الحقيقة من قرأ القرآن العظيم في آناء الليل وأطراف النهار ليغنم الأجور العظيمة والمكاسب الكثيرة، قال نبي الرحمة ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**» (٤).

نسأل الله تعالى أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب غمومنا وهمومنا، وسائقنا ودليلنا إليك وإلى جناتك جنات النعيم يا رب العالمين.

(١) رواه مسلم، رقم الحديث (١٣٥٣)، باب: (فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم).

(٢) رواه البخاري، رقم الحديث (٤٦٣٩)، باب: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).

(٣) رواه مسلم، رقم الحديث (١٣٣٧)، باب: (فضل قراءة القرآن وسورة البقرة).

(٤) رواه الترمذي، رقم الحديث (٢٩١٠)، وصححه الألباني.

الفهـــــــرس

مقدمـــــة ٥
الخلافة الراشدة والحقائق العظيمة..... ٧
الأزمة الحقيقية والقوة الداخلية ١٢
خواطـر إيمانيـة..... ١٥
ذكـرى مـن أحـداث اليابـان ١٨
وما قدروا الله حق قدره..... ٢١
حقيقة الصراعات والضعف المعنوي ٢٤
السـلاح العظـيم ٢٨
وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ٣٥
الوصايا السعدانية ٣٧
طريق النجاة..... ٣٩
جدد حياتك في رمضان..... ٤٢
البراهين الأربعة ٤٥
الحصون الإبريزية ٤٨
كفى بالموت واعظاً..... ٥٠
القوى الثلاثية ٥٣

اللآلئ الفكرية ٥٦
صنم الليبرالية السعودية ٦٤
نجـوم السـمـاء ٧٣
صفحات من حياة داعية ٧٧
الكـنـز العظـيم ٨٥
مشاهد وأهوال ٩١
التنويريون في السعودية بين الوهم والحقيقة ٩٥
خاطرة حول الحراك الفكري ١١١
التوازن الحقيقي ١١٣
ملك الجوارح والقرآن العظيم ١١٥
النور المبين في طريق المتقين ١٢١
حقيقة لا خيال ١٢٤
مملكة الدجالين ١٣٠
موعظة وذكرى ١٣٢
مع القـرآن العظـيم ١٣٦
الفهرس ١٣٩